

تیمور لنک



قائف: ساهر رافع

کار مشارق

تیمور لنک

تألیف

ساهر رافع

الناشر

دار مشارق

بطاقة فهرسة

بطاقة فهرسة دار الكتب والوثائق القومية

رافع ، ساهر

تيمور لك / تأليف ساهر رافع

القاهرة : دار مشارق للنشر والتوزيع - ٢٠١٠

ص: ١٥٠ - سم: ١٧×٢٤

تدمك: ٥٢٤ ٦٣٢٥ ٩٧٧ ٩٧٨

١- تيمور لك ، هو ١٣٢٦-١٤٠٥

٢- القادة الجبكيون

أ:العنوان ٩٢٣,٥٥

رقم الإبداع / ١٠٥٧٣ / ٢٠٠٩

دار طبعة للطباعة-الجيزة

الطبعة الأولى ٢٠١٠

كل الحقوق محفوظة

دار مشارق للنشر والتوزيع

١٥ شارع القاروق عمر بن الخطاب - طابطة- فيصل

ت: ١٨٠٣٧٢٤١٨-٣٧٢٤١٧-١٠٥٥٩٣٣١٧-٠١٢٦٨٧٢٩٠٦

E-Mail:Mshareq@hotmail.com

مقدمة

مقدمة

في حياة العالم، خاصة في العصور الوسطى، العديد من الشخصيات التي ساهمت في تحديد مصير العالم في الأعوام والقرون التالية، وكان من بين هؤلاء الشخصيات تيمور لنگ الذي سطر بحركاته وحروبته تاريخ نصف المنطقة المأهولة بالسكان في عصره .

وعلى الرغم من أنه لم يكن ينحدر من النسل المباشر لجنكيز خان، ومن ثم لم يكن له طبقاً - للقواعد التي وضعها جنكيز - أي نصيب من الوصول إلى سدة الحكم، ليس فقط بين المغول إنما كانت ديانتهم، إنما في أن يكون حاكماً وقائداً لأي شعب في الحقبة الزمنية التي عاش فيها.

إلا أن تيمور من خلال قدراته الشخصية الفذة والقوية استطاع أن يسط نفوذه رويداً رويداً على كل المغول، ويعدّها استطاع أن يتغلب على كل الملوك والأمراء المعاصرين، له وأن يخضعهم لسلطانه ونفوذه، واستطاع أن ينشئ الإمبراطورية المغولية التي سادت كل آسيا ووصلت إلى حدود أوروبا وأفريقيا.

وإذا كان نفوذ تيمور القوي كان على ممالك وإمارات آسيا إلا أننا نجد أن سلطان مصر التي كانت تبسط نفوذها على أجزاء من آسيا كان يخشى مواجهته ولا يتحدى مواجهته، ونفس الحال في أوروبا الصليبية التي ما كانت ترغب في الدخول في أية مواجهة عسكرية معه، بل كان ملوكها - إنجلترا وفرنسا والحجرات - إلخ - يسارعون بإرسال خطابات التهنة له بعد كل انتصار يحققه، خاصة كلما كانت تلك الانتصارات تقع على الحدود الشرقية أو الشمالية لأوروبا .

تَمْهِيد

ولد تيمور لك في الأراضي التي سماها العرب والمسلمون بلاد ما وراء النهرين وهذان النهران، هما نهر جيحون ونهر سيحون في التسمية العربية، أو هما نهر أموداريا ونهر سيرداريا، وهما من الأنهار التي تشكل جزءاً هام من طبيعة وجغرافية أراضي وسط آسيا.

وكان جده لأمه جنكيز خان قد استطاع أن يوحد تلك المناطق بسلادها ومدنها المختلفة تحت سلطته ونفوذه من خلال استخدامه لسياسة الفتح العسكري، وقد تم إطلاق اسم المغول على تلك المملكة التي أسسها جنكيز خان في منطقة وسط آسيا، ومنها بدأت محاولته لاجتياح العالم أجمع.

وبعد وفاة جنكيز خان تفشت مملكته لاعتبارات كثيرة ليس مجالها هذا الكتاب، ولكن الاعتبار الذي سأناقشه باعتباره مرتبطاً بقصة صعود تيمور لك هو الجانب الجغرافي لمنطقة آسيا الوسطى، حيث إن جغرافيتها أثرت كثيراً على سلوك هؤلاء الأقوام الذين سكنوها.

وتتميز منطقة آسيا الوسطى بأنها بعيدة عن شواطئ المحيطات التي تحيط آسيا من كل جانب، كما أن مناخها جاف تنمو فيه الأعشاب، وبالتالي فإن الحياة فيها تكاد تكون محصورة في أماكن جريان الأنهار أو مناطق عيون المياه.

ولذلك كانت هذه المنطقة طاردة لسكانها، ومن ثم فإنها كانت تشكل طريق الهجرة من مناطق الشمال الأكثر برودة والتي سكنها القبائل الروسية في طريق هجرتها إلى أوروبا في الغرب، أي إلى منطقة الأناضول، أو نحو الهجرة إلى المناطق

الجنوبية الدافئة في جنوب غرب آسيا، وأيضاً بالنها، شبه الجزيرة العربية، ولذلك كانت تلك المنطقة التي سيطر عليها المغول هي الطريق المؤدى إلى القارة الأوربية.

وكانت بداية نشأة تلك التجمعات البشرية في منطقة وسط آسيا قد بدأت مع بدايات الألف الرابعة قبل الميلاد، وفي وقت متزامن لتجمع السكان على الهضبة الإيرانية، وقد سكن الناس المناطق التي تلتقى فيها السهول الجبلية مع السهول التي تنتشر تحتها نظراً لتوفر المياه التي تعين السكان على قضاء حاجاتهم .

ومرور الزمن وادت تلك التجمعات البشرية، وأصبحت تلك التجمعات البشرية تمتد من منطقة جنوب وسط آسيا إلى نهر جيحون - أموداريا في الغرب، وحتى جنوب بحر آرال - خوارزم في - الشمال الغربي، وامتدت كذلك حتى حدود الصين.

لذلك كانت هذه المنطقة - وسط آسيا - هي منطقة مرور التجارة التي نشأت بين الصين والهند، ومن ثم ازدهرت الحياة الاقتصادية لمدن وسط آسيا لاحتراف أهلها التجارة، بينما كان أولئك الذين فضلوا العيش في الجبال كبندو رحل يرهون الأغنام والبقر والحمير، وكذلك الخيول لا لمسوء فيها من سرعة في الانطلاق وقدرة عالية على تحمل الصعاب.

وكانت كلما تمر قسرات قحط وجذب في موارد المياه في المناطق الجبلية التي يسكنها البدو نتيجة نقص الأمطار كانوا يغيرون على طريق القوافل التجارية ليلهبوا التجار أموالهم وماكولاتهم التي يحملونها معهم.

وفي نفس هذا التوقيت تقريباً كان هناك مجموعة من البدو الذين يسكنون مناطق غرب الصين قد بدؤوا يتجهون إلى مناطق آسيا الوسطى هرباً من بطش قبيلة هونغ نو التي بدأت تتحكم في زمام الأمور في غرب الصين.

وقد نشأت علاقات تصاهر وقرابة بين بدو الصين الرحل وبدو منطقة وسط آسيا وبحرود الوقت هاجر جزء منهم إلى أرض إيران.

ومع حلول بدايات القرن الثالث عشر الميلادي كان جنكيز خان قد استطاع إحكام سيطرته على تلك القبائل البدوية، وشكل منها أمة المغول التي استطاعت عن طريقها إحكام سيطرته أولاً على تلك المنطقة، ومنها بدأ في شن هجماته نحو كل البلاد المأهولة بالسكان من حوله.

وكان من ضمن المناطق التي استطاع جنكيز خان أن يضمها إلى سيطرته المناطق التي كانت القبائل التركية تسيطر عليها، وقد كانت هذه القبائل على درجة عالية ومن ثم حضارية أرقى بكثير من تلك القبائل المغولية، لذلك استطاعت الثقافة التركية أن تغزو الثقافة المغولية من خلال تحويل لغة المحادثة والحديث بين الناس إلى اللغة التركية بسمات الثقافة الإيرانية باعتبارها الحضارة التي كانت مهيمنة على تلك المناطق.

أراضى ما وراء النهر

ونظرا لأهمية الموقع الجغرافى الذى انطلقت منه فتوحات تيمور لك للعالم هذا مصر فإنه من المهم أن نعرف أن بلاد ما وراء النهر تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى:

١ - القسم الشمالى الغربى: هو عبارة عن أراضى صحراوية، وقد أطلق سكانها عليها اسم الرمل الأحمر للدلالة على عدم صلاحيتها للحياة نتيجة جفافها المستمر.

٢ - مجموعة المرتفعات الجبلية: التى تمتد على طول مساحة الأراضى الواقعة فى شرق وجنوب المنطقة، وهى تتصل بالجبال الواقعة إلى كل من الهند والصين.

٣ - وهى المنطقة التى تحتل الجزء الغربى، وهى التى تضم الأنهار وعيون المياه، ولذلك فإنها كانت تضم السكان الحضريين وهى المنطقة التى تضم مدن تجارى وسمرقند التى أصبحت بعد ذلك عاصمة إمبراطورية تيمور لك.

مغول فارس

ظلت فكرة الغزو العسكرى واحتلال الشام ومصر سيطرة على عقول المغول، خاصة وأن الهزيمة فى عين جالوت ١٢٦٠م أمام الجيش المصرى أفقدتهم الكثير من هيبتهم وقوتهم فى العالم .

ولذلك نجد أنه منذ أن استطاع هولاكو احتلال فارس / إيران لم تنقطع محاولات الأتراك من أجل معاودة المحاولة لاحتلال الشام ومصر، ولهذا السبب نجد أنهم عقدوا التحالفات مع الصليبيين، غير أن هذه المحاولات ضاعت سدى لعدة أسباب :

١ - عدم تقديم الصليبيين المساعدات الفعالة للمغول، نظرا لتشكك القادة الصليبيين فى قدرات المغول، خاصة بعد هزيمة عين جالوت، وأيضا نظرا لتعرض القوات المغولية لضربات قاسية موجعة على أيدي الجيش المصرى كما حدث فى عهد بيبرس عندما استطاع أن يوقع بهم الهزيمة فى موقعة اليرة ١٢٧٣م، وأيضا فى موقعة الأبلستين ١٢٧٧م، كما استطاع سلطان مصر الشاب محمد بن قلاوون من إلحاق هزيمة مدوية لهم فى موقعة مرج الصفر عام ١٣٠٣م، ومن ثم انهارت كل محاولاتهم فى احتلال الشام وسط تقوذهم على مصر، لأن قلاوون عقد معهم صلحا فى عام ١٣٢١م يتمتعهم من الاعتداء على أراضي الشام، ثم حدث بعد ذلك أن تولى أبو سعيد اليخان مغول فارس مما أدى إلى تفكك أواصر تلك الدولة، ومن ثم أصبحوا أثرا بعد عين فى المنطقة.

٢ - رغبة الصليبيين فى الاستحواذ على كعكة الشرق الإسلامى بمفردهم.

٣ - شعور الصليبيين أن للغول سيهاجمونهم بعد أن يعلثموا إلى وضع أقدامهم فى منطقة الشرق الإسلامى.

تيمور وظهور الخطر المغولي

وقد ولد تيمور لترك في عام ١٣٣٦م في جنوب ممرقند بمدينة كيش، وهو ينتمي إلى عشيرة الأيرلاس وهي إحدى قبائل المغول الجغتائيين التي هاجرت إلى بلاد ما وراء النهر، واستطاعوا أن يخضعوها لسيطرتهم بالقوة المسلحة.

وقد تحولت هذه القبيلة مع الوقت إلى المغول الأتراك الذين كانوا قد سبقوهم لاستيطان تلك المنطقة.

وكانت دولة المغول الجغتائيين التي سيطرت على مناطق وسط آسيا قد بدأت تدب في أوصالها عوامل الضعف والانحلال نتيجة زيادة نفوذ القادة العسكريين في شئون البلاد، وأيضاً بداية ظهور التمردات والفتائل السياسية من السكان المسلمين باعتبارهم أصل سكان تلك البلاد وهؤلاء الغزاة.

وكان العرب قد فتحوا بلاد ما وراء النهر في عام ٧٠٦م، ونتيجة لهذا الفتح العربي فإن هذه المناطق خرجت من تحت سلطة ونفوذ الأتراك الشرقيين، وقد أحدثت موجات الهجرة العربية لهذه المناطق تأثيراً كبيراً على العوامل الديموجرافية في المنطقة، بالإضافة إلى قدرة الديانة الإسلامية على ابتلاع كل العقائد الأخرى التي كان السكان يدينون بها قبل ذلك، وبعد ذلك استطاع الفرس السامانيون حكم البلاد.

استيلاء المغول على ما وراء النهر

مع مطلع القرن الثالث عشر الميلادى وصل المغول بقيادة جنكيز خان إلى بلاد ما وراء النهر، ومن ثم أصبحت تلك البلاد تحت نفوذ الخان = والذي توزعت تركته بعد وفاته على أولاده، وكانت منطقة ما وراء النهر من نصيب ابنه جغتاي، وقد ظلت تابعة للخان الأعظم الذي كان يتخذ من مدينة قسرة كوروم في منغوليا عاصمة له، وبعد ذلك نقلها إلى الصين بعد أن تولى الخان قبلاي زمام السلطة للمغول

الاستقلال عن الخان الأعظم

حدث هذا الاستقلال من جانب المنول الجغتائيين من مقر الخان الأعظم بالصين بعد أن تولى الخان الجغتائي دورا مقاليد السلطة على البلاد الخغتائية في عام ١٢٧٤، ولتأكيد هذا الاستقلال فإنه شيد لنفسه عاصمة جديدة من منطقة مرعنة، وأطلق على المدينة اسم أنديجان، وبعد ذلك تولى ابنه الخان كك حكم الجغتائيين وأسس لنفسه مدينة أطلق عليها اسم قارشى لتكون مقر حكمه وعاصمة البلاد، وما زال اسم هذه المدينة مستمرا حتى الآن وهي تقع على نهر كشتادريا بأذربيجان

قتل الخان ترماشين

بعد موت الخان كيك نولى قيادة المغول الجغتائيين الخان ترماشين عام ١٣٢٦م . ولم يمض وقت طويل على اعتلائه العرش حتى أعلن إسلامه وأطلق على نفسه اسم علاء الدين ، وكان هذا التحلى منه عن عقائد المغول وشريعة الباب معه أنه قد تم وهدار دمه من الخان الأعظم للمغول ، والذي إن كان قد أغمض الطرف من الاستقلال السياسى لمغول الجغتائيين إلا أنه لا يرضى عن عملية التحول الدينى التى قام بها ترماشين / علاء الدين ، لذلك تم قتله بعد محاولته الهرب بعد الثورة التى واجهها من كبار رجال حاشيته من المغول .

انقسام دولة المغول الجغتائيين

لم تذكر المراجع التاريخية من الذى تولى الحكم بعد مقتل ترماشين / علاء الدين ، فى عام ١٣٣٤م لكن الآثار تثبت أنه تم نقل عاصمة الجغتائيين إلى منطقة المديك الواقعة على نهر إيلي فى منطقة وسط آسيا .

وقد حدثت ،لعديد من الدلائل التى أثرت على وحدة الدولة الجغتائية نظرا لأن مقر العاصمة الجديد كان به العديد من الدين يؤمنون بالذهب الأرثوذكسى ، وأنها الكثيرون من اتباع الكنيسة الكاثوليكية ، مما دفعهم إلى شغل مهمم الحاكم الجديد للجغتائيين لممارسة سياسة التكييل بالمسلمين .

استمرت سياسة تعقب المسلمين أو اضطهادهم على يد الحاق الجفطائي بمساعدة صليبية حتى عام ١٣٤٠م حتى استطاع أحد أمراء الممولى المسلمين واسمه خليل من تجميع صفوف الممولى المسلمين في جعطلى عن طريق مساعدات قسيمة من ملك خراسان المسلم مع الدين آك كرت، مما أدى إلى نجاح مساعي خليل حيث استطاع هزيمة أباء عمومه وعاد بجيوشه إلى سمرقند حيث اتخذها عاصمة له .

إلا أن الممولى الوثنيين من أمالسى جعطلى بمساعدة الصليبيين والذي كانوا يقطنون المنطقة الشرقية من البلاد قاموا بثورة عارمة ضد خليل، مما أدى إلى انقسام دولة الممولى الجعطائيين إلى منطقتين أو إقليمين هما إقليم مغلوستان في الشرق ويمتد من نهر سيحون إلى منطقة حوص ناريم، والإقليم الآخر هو الممتد من منطقة ما وراء النهر وحتى الغرب .

وقد تم حكم كل إقليم بمسرد من العائلة الجفطائية لكنه مخلف في عقائده عن الفرع الآخر، واستمر الصراع فيما بين الإقليمين وأيضاً داخل كل إقليم على حدة من أجل الاستحواذ على السلطة به .

وقد رفض ملك خراسان أن ينضوى تحت جناح خليل، وقامت بينهما حروب مريرة لم يستطع خلالها الملك حسين الخراساني أن يحتل أراضي خليل، لكنه استطاع أن يوقع به في الأسر في إحدى المعارك بينهما

فاتحة الخير لتيemor

كان اختفاء حليل من على سدة عرش المغول الجغتائيين المسلمين فرصة سانحة لأن يمثل عرش تلك البلاد الأمير قازان وهو أحد أحفاد جنغيسى بن جوكي خان الذي استطاع أن يقهر مملكة حراسان ويدحر ملكها، لكنه لم يهنا كثيرا بالراحة إذ سرعان ما انقلب عليه قازغان وهو أحد حارس قازان.

وبمجرد نجاح قازغان في الإطاحة بالخان قازان حتى أتى قازغان بأحد الأمراء من بيت قازان وأقسم له بمنى الطاعة والولاء هو ورجاله، ونتيجة ذلك فإن ذلك الخان - الذي لم يستمر كثيرا على العرش إذ تم قتله بعد سنتين - قد ترك أمور بممارسة السلطة في البلاد في يد قازغان .

وبعد أن أحصر قازغان أميراً جديداً اسمه بويان، حيث صعد كرسى العرش، ومن ثم أصبح هو الخان الجديد للبلاد، واستمر بويان مدة عشر سنوات كان فيها قازغان هو الحاكم الفعلي على البلاد .

وقد استطاع قازغان باعتباره الحاكم الفعلي للبلاد أن يوسع حدوده حتى وصلت حدود بلاد المغول الجغتائيين في عهده إلى السند وحراسان حيث كان قازغان قد شح حرباً سريعة حاطقة على مملكة حراسان تأدياً لها على هجومها على بلاده قبل ١٤ عاماً مضت

ثم تم اعتقال قازغان أثناء رحلة صيد كان يقوم بها، وكان المحرص الأساسى على قتل قازغان هو زوج ابنته، لذلك تم تنصيب الطفل عبد الله بن قازغان بدلاً

استمر تغلق تيمور في عرض سياسته وإحكام قبضته على بلاد ما وراء النهر مستغلا حرب أغلب أفراد قبيلة البرلاس إلى خراسان، ولما استتبت الأمور بين يديه عين ابنه إلياس حاكما عليها، وكان إلياس عديم الخبرة بالشئون العسكرية والسياسية، لذلك ترك أمور تسيير الحكم في البلاد في يد المغول

ظهور تيمور لنك على مسرح الأحداث

كانت وديان أراضي ما وراء النهرين المكان الذي نشأت فيه قبيلة البرلاس منذ قدومها إلى تلك الأرض وقدرتهم على فرض سيطرتهم وفوزهم على القبائل الأخرى التي نازعتهم العيش في أراضي الوادي.

لكن بمرور الوقت ونظرا للأحداث السياسية والعسكرية التي مرت على الوادي فإن قبيلة «برلاس» فقدت الكثير من نفوذها على الوادي إلا ما بقي تحت أيديها من مناطق يسكن فيها أفرادها، وقد أصبحت تلك القبيلة تنسب إلى المغول بعد أن انضموا لراية جنكيز خان بعد اكتشافه أراضيهم، وراحت تلك العلاقة الحميمة بين تلك القبيلة وجنكيز خان بعد أن تزوج واحدة من نساها كانت هي الحدة العليا لتيمور لنك

وكان جنكيز خان بذلك قد منح سكان المناطق التي فتحها في مغوليا وتركستان وبلاد ما وراء النهرين الكثير من التعوذ حتى يستمروا على ولائهم له. لذلك مجدهم جميع بما فيهم قبيلة البرلاس قد حاربوا مع ابنه جوشي أثناء غزوه لروسيا ومناطق القرم الناحية لها في صفوف جماعة اليهودية الذهبية، وبعد ذلك تحول جزء منهم للإسلام وبقي البعض الآخر على وثنيته، وكان من ضمن من دخلوا في الإسلام قبيلة البرلاس.

الحاجة إلى زعيم

في ظل الظروف التي حدثت ومرت بحماية الجمعتين للمسلمين كانت قبيلة السيرلاس ما زالت تتمتع بنموذ أدبي كبير على الكثير من القبائل الأخرى التي كانت تجاورهم الإقامة في بلاد ما وراء النهرين.

لكن كان أكثر ما يعيب قبيلة السيرلاس وأهبا الجمعتين العربيين هو افتقارهم لرعيهم بقودهم حيث كان طرقاتي أبو نيمور رجلا مسالما مهتما كثيرا ببرد شجاعة وكفاءة أجداده أكثر من حرصه على إنسان ذلك على أرض الواقع

وقد انعكست حالة طرقاتي تلك على أسلوب تنشئة لابه نيمور، حيث عمل على تربيته وتنشئة نشأة إسلامية، لذلك اهتم كثيرا بتعليمه أصول الشريعة وحلوم الفقه، وقد تولى زعامة القبيلة بعد موت طرقاتي أخوه حاجي الذي كان قد قاد الثورة ضد قارغان، لكنه كان في تركيبته الشخصية العامة لا يختلف كثيرا عن أخيه طرقاتي .

نقطة البداية

كانت القبيلة تحت قيادة حاجي عم تيمور تسير من سيء إلى أسوأ، لذا بدأت في عرض خدماتها على الأمراء مستعلة في تلك شهرة أبنائها في القدرة على القتال، وعلى الرغم من تلك الحالة المزمنة التي كنت إليها أحوال القبيلة إلا أن هذا الحال هو السبب في يزوع نجم تيمور بن طرقاي الذي سيصبح فيما بعد تيمور لنت.

وقد كان تيمور فارساً شجاعاً مفامراً، ويهوى الصيد حيث كان ماهراً في صيد الثعالب والصباع والطيور خاصة الجوارح منها، وقد طبقت شهرته الألف في كل مدينة سمرقند وما جاورها من بلاد.

وبسبب شهرته تلك استدعاه قازغان عندما أحكم سيطرته على خانية الجغتائيين المسلمين، وعند مقابلته له أحس استقباله وأحبه أنه سيعتمد عليه كثيراً، ولما لاحظ قازغان دهشة تيمور لذلك الذي يسمعه نظراً لاختلاف الديانة فيما بينهم حيث كان قازغان وثنيًا، لذلك بادره قازغان قائلاً: لقد استعفنا هنا عن الأديان بالاخوة

واعتق تيمور على عرض قازغان فأنهضت عليه الهدايا الثمينة باعتباره، قد أصبح عضواً مهماً في حاشية الأمير قازغان المتحكم في السلطة في خانية الجغتائيين في بلاد ما وراء النهرين، وكانت جيوش قازغان ترصد كل تحركات هذا العارس الشجاع.

واستمر الحال هكذا حتى كانت نقطة البداية لانطلاق شهرة تيمور لنت كفارس محترف عندما أثار بعض البدو على بعض الحياول التابعة لقازغان فكلفه قازغان بضرورة استرجاعها وتأديب هؤلاء الغزلة.

فقد تيمور لنت الأمر الصادر من قازغان وخرج على رأس عشرة من الجنود

ولحقوا بهؤلاء الغزاة لأملاك قازغان، وعندما رأى هؤلاء الغزاة تيمور لثك وجنوده يطاردونهم قسموا أنفسهم لقريتين، الأولى استعد لمواجهة هجوم تيمور والقسم الآخر بنى لحراسة الخيول المسروقة والامتنعة المنتهية.

وكانت رغبة الجمود التابعين لتيمور أن يكون للمجهود الرئيسى لهجومهم على من يحرسون المسروقات، لكن تيمور أمر رجاله بمهاجمة الفرسان المسلحين، ودارت معركة حامية الوطيس بين الفريقين أثبت فيها تيمور شجاعته كمحارب وقائد يستطيع أن يوجه رجاله في أرض المعركة، مما أدى إلى مقتل أكثر الغزاة وفر الباقى منهم من أرض المعركة حيث تركوا حلهم كل ما سرقوه وأيضاً الكثير من أمتعتهم الشخصية التي حصل عليها تيمور ورجاله، حيث عادوا إلى قازغان في مقر إقامته، ففرح بما فعله تيمور فرحاً كبيراً ومن مرط فرحه أعطى لتيمور قومه وكناته.

وبسبب هذا الانتصار بدأت العلاقة تتوطد أكثر بين قازغان وتيمور، وبالإضافة إلى شجاعة تيمور القتالية كان هناك سبب آخر لزيادة عمق هذه العلاقة وهو أن كلاهما لا يمحذر مباشرة من صلب الخان الأكبر جنكيز خان.

وذلك لأن عرف المغول الذي منه جنكيز خان أن أولاده الذكور فقط من زوجته الأولى هم الذين لهم حق خلافة في عرشه هم وأولادهم

كما كان هناك سبب ثالث يدعو قازغان لتوطيد تلك العلاقة وهو أن قازغان كان يعدم حلم اليقين انتساب تيمور لقبيلة البرلاس المعروفة ببأسها الشديد في القتال، ومن ثم فقد قرىه إليه لعله يوماً يحتاج إلى دعم تلك القبيلة والذي لن يأتي بسهولة إلا من طريق تيمور باعتباره فارساً شجاعاً وابناً للرقيم السابق لتلك القبيلة.

تيمور زوجا لحفيذة قازغان

بعد أن توصلت العلاقة بين تيمور لنك وقازغان بدأ الأخير في الاعتماد كثيرًا على تيمور في الكثير من الأمور، خاصة فيما يتعلق بإدارة الثروات التي حاول بعض الأمراء إشعالها ضد قازغان، وكان النجاح في كل مرة يلازم تيمور، بالإضافة إلى الكثير من الحكايات التي كانت تنتشر من أرض المعركة والتي توضح شجاعته وسماته وقوته .

لذلك قرر قازغان أن يزوج تيمور من إحدى حفيداته، وقد اختار له أجملهن، وقد وافق تيمور على اقتراح قازغان وتم الزواج في عام ٧٥٧هـ، وفي يوم زواجه عيه قازغان قائدًا للألف كما منحه لقب بك .

وهكذا اعتلى تيمور بدايات طريق السلطة بمجهوده، وإعداد قربه من قازغان وأصبح يحلم كثيرا بما ينتظره من صعود في قيادة الجيش، إلا أن كل هذه الأحلام والآمال تعثرت فجأة بعد اغتيال قازغان على يد كبار قادة جيشه، ومن ثم أصبح عليه أن يسدأ من نقطة البداية بعد أن فقد العون الذي يسده، وأيد التي تدفعه للأمام.

وكان من الطبيعي أن يعتلى كمرسى القيادة بعد وفاة قازغان ابنه، لكنه كان ضعيفا، فلم يستطع توجيه دفعة حكم البلاد لعدم قدرته على كبح جماح طموح حاجي برلاس عم تيمور، والأمير بايان سلدوز، حيث حصر كلاهما على رأس قوة كبيرة من رجاله إلى سمرقند وهما يرفعان شعار سيادتهما على سمرقند، وما زاد الطين بلة أن الاثنين كانا يكرهان تيمور، لذلك بقي محدود الحركة حيث إن

أغلب جنوده وفرسانه تركوه وانضموا لأحد الأميرين اللذين دار بينهما شجار عن من منهما تكون له القيادة، مما دفع الكثير من قادة جيوشهم إلى الانسحاب من تحت قيادتهم وعاد كل قائد إلى الأراضي الواقعة تحت نفوذه وسيطرته، وقد حاول تيمور استغلال ما حدث لصالحه إلا أنه فشل في إقناع كل هؤلاء القادة للانضمام له، حيث فضل كل واحد منهم البقاء على أراضيه مستعدياً للدفاع عنها، وما ساعدتهم على هذا هو معرفتهم أن الأمير بابان سلدور مدمن للخمر ولا يفارقها، بينما حاجى برلاس هم تيمور يهتم فقط بمصالحه ولا يكثر بمصالح البلاد.

تيمور يواجه تيمور

بينما تيمور بن طوقاي أو تيمور لك وحيداً وحوله قلة قليلة من الجنود بعد أن تفرق شمل بلاد الجغتايين الحرية كان تيمور خان جغتاي الشرقية ينظر بكل اهتمام من وراء الجبل لكل ما يحدث من أمور في الجزء الغربي الذي يدين بالإسلام من البلاد.

لذلك قرر تيمور خان أن يستولى على جغتاي الغربية حيث زحف عليها بجيش جرار لم يستطع رجال وقادة قازغان الذي تم اغتياله من الوقوف أمامه، حيث هرب الكثير منهم بجيوشهم من البلاد متوجهين إلى خراسان أو كابول، وانوحيد الذي بقى ولم يهرب كان الأمير بايريد أمير جلاتر والذي كانت مدينته في طريق زحف جيوش تيمور خان، وقد تفق ذهن مايزيد بأن يستقبل تيمور خان بالورود والهدايا وأن يعلى خضوعه له.

بينما كان حاجى بيرلاس هم تيمور لك متخبطاً في قراراته إذ بعد أن بدأ بعد جيشه لمواجهة جيوش تيمور خان قرر الأسحباب والهروب إلى أرض هرات بأفغانستان، وأثناء انسحابه أرسل لابن أخيه تيمور لك يخبره فيه ماسحابه.

وكان السبب في ذلك أن العلم حاشى بيرلاس شعر بازدياد نفوذ ابن أخيه تيمور
لنك وسط شباب القيلة حيث كان يحثهم على محاربة تيمور خان، على الرغم من
قلة هدهم لكن لما تأكد تيمور لنك من أن تيمور خان قد استولى على كل البلاد
قرر أن يلعب بنفسه لمقابلة تيمور خان.

لكن قبل أن يلعب لتلك المقابلة قام بإرسال زوجته وابنتها إلى إمارة أحيه
بأفغانستان، وبعد ذلك قام بتجميع كل ما يملك من مجوهرات وذهب ومال
وحبائهم في مكان أمين، بعد ذلك ظهرت أمامه خيول تيمور خان فأحسن تيمور
لنك وفادة قادتها، حيث لى كل طلباتهم وأجبر قائدهم عن شخصيته وأنه يريد
الذهاب لمقابلة تيمور خان .

وصل تيمور لنك إلى مقر إقامة تيمور خان- الذى كان جالساً وسط حشد كبير
من أمراء وقادة جيشه - ومعه الكثير من الهدايا التى تليق بمقام الخان تيمور، والذي
كان يمثل النموذج الحى لأجداد تيمور لنك من حيث الشكل والهيئة والقوة.

وقد عرف تيمور لنك بنفسه لتيمور خان وكان أبرز ما نبه لنفسه هو أنه قائد
قبيلة البرلاس في مسرند، تلك المدينة المحصنة الجميلة، ثم أردف قتالا مستعرا
في حديثه لتيمور خان أنه كان يأمل ويتمنى أن يكون مالكا للكثير حتى تتناسب
الهدية مع أهمية الخان تيمور، وبينما بدت تلوح بوادر إفسامة على وجه تيمور خان
استمر تيمور لنك في حديثه، حيث أخبر تيمور خان بأن ثلاثة من شبابه أشبهوا
شهوة طمعهم بسلب الكثير مما كان معه على الرغم من أنه أخبرهم بأن هذه
الاشياء الثمينة ما هى إلا هدايا بسيطة لتيمور خان، في تلك اللحظة قاطع تيمور
خان حديث تيمور لنك حيث أصدر أمرا بضرورة إلقاء القبض على هؤلاء الضباط
لاسترداد ما سرقوه، ثم أمر تيمور لنك بالذهاب إلى الراحة في إحدى الخيام

ومجرد أن حرج تيمور لك من قاعة تيمور خان حتى بدأت الأحداث تدور بين الخان الكبير ورجاله في أمر تيمور لك وما يجب عمله معه، وكان هناك رأي يمثل الأقلية بالنسبة للمجتمعين يرى أنه لابد من التخلص من تيمور لك بينما كان رأي الأغلبية يصب في مصلحة تيمور لك حيث أجمعوا على ذكائه، وشجاعته، وكنه لا حروف معه، بحيث إن كل جيش سمرقند وحيرة أمرائها ورجالها هاربون، ومن ثم فإن تيمور لك الوحيد من سبب لهم أية مشاكل.

وفي نفس الوقت تقريبا وصلت أخبار إلى مقر تيمور خان تخبره بأن لفرقة التي خرجت للقبح على الضباط الثلاثة لم تستطع النجاح في مهمتها لتعرضها للهجوم من جانب قوات الضباط الثلاثة، وأنهم بذلك رفعوا راية العصيان والثورة على تيمور خان، وأنهم يتوون عبور الحدود إلى بلادهم لإشعال نار الثورة الشعبية ضده أي ضد تيمور خان.

برزت تلك الأخبار وقم الصاعقة على تيمور خان وكل أفراد حاشيته، ودارت بينهم المناقشات التي كان محورها الأساسي ما هو رد الفعل الذي يجب عليهم عمله لتحاكي قيام الثورة في جميع أراضي الشرفية، ولما زادت المناقشات عن حدها ولم يستطع المجتمعون الوصول إلى قرار قرر تيمور خان استدعاء تيمور لك لاستطلاع رأيه في هذا الأمر.

عندما وقف تيمور لك بين يدي تيمور خان كانت الأفكار تتصارع في رأسه، وكانت أغلب تلك الأفكار تدفع تيمور للخوف من تيمور خان إلا أن هذا الخوف انقشع وتبدد بعدما أخبره تيمور خان بسبب استدعائه

لم يطل تفكير تيمور لك كثيرا، إذ سرعان ما أخبر تيمور خان بأن لحكمة تدفعه إلى ضرورة الانسحاب بكل جيشه هائلا إلى بلاده حتى ينسى له القصة على الثورة التي يريد الضباط الثلاثة إشعالها، وكما أخبره أن قوته في

سمرقند معناه أنه سوف يتعرض لخطر من الأمام ومن الخلف، والمقصود بهما خطر مقاومة أهل سمرقند للاحتلال، بالإضافة إلى الخطر الذي ستعرض له قوات تيمور خان في حالة نجاح الفصاط الثلاثة في إشعال نيران الثورة في جمعات الشرقية.

كما لم يطل تفكير تيمور لك للوصول إلى هذا الحل لم يطل أيضا تفكير تيمور حان للانتفاع بهذا الرأي لذلك قرر الانسحاب بقواته إلى جمعات الشرقية، وقبل الانسحاب أصدر تيمور خان قرارا بتعيين تيمور لك قائدا في جيش جمعات المتحدة برئاسة تومان باشي، وهذا يعني أنه قائد على جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل، وأعطاه خاننا رسميا بذلك، وسلمه أيضا وثيقة ملكية تثبت رتبته العسكرية وتحدد سلطته.

التمييز تيمور لك

بأنسحاب جيوش تيمور خان من سمرقند أصبح تيمور من طرفائى أو تيمور لك أميرا على كل بلاد ومدن منطقة ما وراء النهر، وقد زاد حب الناس له لقدرته على إنقاذ مدنهم وبلادهم من الحراق الذي كان يهوى تيمور خان أن يفعله بهم.

لذلك ألف الناس حول تيمور لك وساعدوه في مهمته التي اختارها لها تيمور خان، لكن بمجرد أن بدأ يشعر أن الأمور قد بدأت تستقر فوجئ بمسودة الأمراء الذين فروا من مواجهة تيمور خان الواحد تلو الآخر، وقد أحسن تيمور في كل الأحوال استقبال هؤلاء الأمراء.

وكان من ضمن هؤلاء الأمراء المائتين عمه حاجي اليسرلاسى الذى بدأ فور

حصوله على قسط من الراحة هو ورجاله التحالف مع الأمير بايزيد الجلاترى، وكان العرص من هذا التحالف هو القضاء على حكم تيمور لىك والافصال مرة اخرى عن سلطة تيمور خان، وللمعمل على تحريك تيمور لىك فى المصيدة التى تم إعدادها له لاصطياده قرر بايزيد إعلان نفسه حاكما عاما على كل بلاد ما وراء النهر، وذلك بمساعدة ودعم من حاجى بولاس، وفى نفس لحظة إعلان بايزيد لنفسه حاكما عاما على البلاد أرسل مندوبا به يطلب من تيمور لىك الحضور لاجتماع يقمه مع بايزيد وعمه حاجى ليشاور الثلاثة فى كيفية حكم البلاد، وأيضا مناقشة كيفية الأسلاخ عن سلطة تيمور خان دون إثارة حتى لا يحاربهم بجيشه.

وصل تيمور لىك إلى المكان المخصص للاجتماع حيث استقبله بايزيد بترحاب رائد ثم طلب منه أن يترك سلاحه الشخصى خارج خيمة الاجتماع، وأن لا يدخل أحد معه من أهواته، تراضى لىك فى عقل وقلب تيمور لىك إلا أنه وافق على كل ما سمعه من بايزيد، لكنه دخل إلى الخيمة والحذر هو رفيقه الوحيد لأنه توقع أن يصيبه مكروه منهما.

صدق حدس تيمور لىك إذ كان عمه حاجى جالسا فى أقصى الخيمة المزعوشة بالسجاد الوثير وجلس بايزيد فى أقصى النقطة المقابلة لحاجى، وطلب منه الاثنان أن يجلس فى منتصف المسجدة فأدرك تيمور أن هذا كمين للقضاء عليه، وأظهر موافقته على طلبهم.

وقبل أن يصل إلى المكان الذى حدداه لخلوسه تظاهر بالسعال الحاد وخرج من الخيمة حيث اتجه مسرعا إلى مكان جنوده وضباطه فامتطى جواده وصعد إلى مقر إقامته.

وبعد فشل تلك المحاولة للتخلص من تيمور لىك دب الخلاف بين بايزيد وحاجى، وكاد حاجى أن يقضى على بايزيد الذى انسحب بقواته على مدينته تاركا

سمرقند لحاجي الذي قرر القضاء بالقوة المسلحة على تيمور لك، مما دفع تيمور إلى مواجهة جيوشه، وكالمعادة أثبت تيمور كفاءة قتالية عالية وقدرات قيادية فائقة مما اضطر معه حاجي إلى الانسحاب.

ظل تيمور بمجرد انسحاب قواته من أمامه أنه قد أحكم ثابته فبضه على البلاد إلا أنه خرج مع ظهره اليوم للتغلب على انتصاره أن أغلب جنوده وصابطه قد انضموا لحيشه الذي أغراههم بالعودة إلى سلطة القبيلة إذا ما عادوا إليه.

لذلك لم يكن أمام الأمير تيمور لك سوى الانسحاب إلى مدينة ترمذ الواقعة على نهر أموداريا، ومن ثم كان مجبرا هناك على ضرورة التحالف مع شقيق زوجته الأمير حسين، وكان تيمور يخشى أطماع حسين في سمرقند بصورة خاصة وبلاد ما وراء النهر بصورة عامة، وبالتالي أرسل رسالة عاجلة لتيمور خان شرح له فيها كل ملاحظات الموقف وختمها في النهاية بضرورة أن يأتي على رأس جيشه وبأقصى سرعة، حيث إن القتال قد بدأ ينشب بين الجميع.

ثار تيمور خان ثورة عارمة بعد قراءته لرسالة تيمور لك وتحرك على رأس جيشه بسرعة باتجاه سمرقند وقد قرر أن يقضي على الاغترس واليهاب، وكان أول شيء فعله أثناء مروره على إمارة بايزيد أن دمر جيشه ثم قتله.

وفي هذه الأثناء حارب الأمير حسين أن يستثمر ما يحدث لصالحه لتحقيق لمطامعه في أن يستعيد ميراث جده قازغان في حكم بلاد ما وراء النهر، لذلك استدار ناحية تيمور خان واشتبك الجيشان في معركة بدأت أولى مراحلها بالندية بين الجيشين ثم سرعان ما حاربت قوى الأمير حسين فهرب من أرض المعركة باتجاه خراسان لينجيه منها إلى مقر إمارته بكمبول.

وبمجرد أن انتهى تيمور خان من أمر الأمير حسين طارد جيوش الأمير حاجي هم تيمور لك وكعادة حاجي سارته أثر الاسحاب من أرض المعركة فوقع بأيدي مجموعة من قطاع الطرق سلبوه أمواله ثم قتلوه.

وأثناء كل تلك الأحداث كان تيمور لك معسكرا يقبضه في سمرقند لهدوء عهد، حيث كانت تلك هي حجة أمام تيمور خان رغم أن الواقع كان يقول أنه أبعد نفسه عن أي معارك حيث جعل الجميع يستقيلون ويهربون ويقتلون، وبذا تعلو الساحة أمامه نظرا لعدم وجود أي منافس محلي ياثرة السلطة، وفي نفس الوقت يظل محتفظا بالعلاقات الودية التي تربطه بتيمور خان.

وقد تحققت آمال تيمور لك إذ كان على رأس المستقبلين لتيمور خان أثناء دخوله على رأس جيوشه لسمرقند، وعند دخوله إليها كانت الأحوال الاسبية فيها مستقرة، لذا عمد إلى تقريب تيمور خان منه.

وأثناء ذلك حاول باهتان سلدوز إثارة بعض الفلافل، فتكسب تيمور خسان بقتله، وبذلك أغلى الطريق تماما من أي منافس محلي لتيمور لك الذي عادت شعبيته للارتفاع وسط القبائل الساكنة في سمرقند، وخاصة قبيلة البرلاس لفدته ثلثي مرة على المحافظة على مدينتهم انحصارا الحيلة من هجوم جيوش تيمور خان.

بعد أن هدأت الأوضاع قرر تيمور خان أن يحكم نفسه بالكامل على سمرقند وما حولها من بلاد ما وراء النهر، لذلك قام بتعيين ابنه إلياس نائبا عنه في حكم بلاد ما وراء النهر، وقرر أن يكون قائد عام جيوش الخيمايين الشرقيين هو القائد بيكبيك أما بالنسبة لتيمور لك فقد عينه أميرا وحاكما عاما لسمرقند.

وبعد الشكر على الثقة التي أولاها له تيمور خان اعترض تيمور لك على عمله تحت إمرة الخيمايين الوثنيين فقام تيمور خان بتدكيره بعرف الملوك في الحكم الذي

وضعه جنكيز خان، وهو أن يكون للحكم بيد أولاده وأحفاده المتحدرين من زوجته الأولى بورتاي، وأن على الإنسوة الآخرين وأبنائهم أن يعملوا تحت حكم أبناء الروجة الأولى.

لذلك سكت تيمور لك ولم يعلق، حيث إن ما قاله تيمور خان إن هو ولا التطبيق العملي للاتفاق الذي تم قديما بين كابول الجدد الأعلى لجنكيز خان وتعلق خان والد تيمور خان وشقيقه قجولاي الجدد الأعلى لتيمور لك.

تيمور لك نصيراً للضعفاء

غادر تيمور خان سمرقند وبلاذ ما وراء النهر وقد أصبح تيمور لك أميراً هاماً على سمرقند، وقد حاول قدر جهده أن يتعايش مع إلياس بن تيمور خان وأيضاً مع بيكجيك في محاولة منه لعدم الصدام مع أي منهما، خاصة في ظل ضعف شخصية إلياس وقلة خبرته بالحياة السياسية أو العسكرية، وبالتالي تساعد نفوذ بيكجيك لكونه الحاكم العام الفعلي لكل بلاد ما وراء النهر.

وكان بيكجيك ينسب بسوء الخلق والعظاظة والغلبة في التصرفات، وهو ما ظهر جلياً من خلال معارفته للمصور في الشوارع وقيامه باستئناف أي سيدة تعجبه، بالإضافة إلى اعتدائه على رجال الدين الإسلامي، مما دفع تيمور لك إلى إرسال الخطابات الثنالية إلى تيمور خان يحبره فيها بما يحدث على أرض الواقع لحظة بلحظة.

وكان رد فعل تيمور خان على هذه الخطابات هو لامبالاته بها، وحدث أن تم اختطاف الكثير من بنات سمرقند العذارى وأعداد غفيرة من رجال الدين

لإسلامي، حيث قرر بيكجيك أن يتم بيعهم في سوق الرقيق كعبيد، فاجرت
 جموع الناس إلى تيمور لك ليتحرك لإنقاذ هؤلاء المحطوبين، فذهب إلى إلياس
 طالبا منه أن يأمر بيكجيك بالإفراج عن هؤلاء الأسرى فما كاد من إلياس إلا أن
 أخبره بأسلوب دبلوماسي أنه لا يملك من الأمر شيئا.

بعد أن خرج تيمور لك من مجلس إلياس انطلق وجمع جنوده وانطلق بقودهم
 لتحرير كل أسير تم أسره من رجال الدين والعلماء، وقد نجح تيمور لك فيما
 خرج له عن طريق القوة المسلحة.

أرسل إلياس بحطاب إلى والده يخبره فيه أن تيمور لك قد شق عصا طاعته في
 سمرقند، وأنه يفرد ثورة مسلحة ضده، وأنه أعلن لمن حوله أنه سينجيه بجيشه إلى
 حيث يوجد تيمور خان لبحاربه ويقتله، ويصبح هو حاكما على كل بلاد
 الجغتايين، ونتيجة لذلك أصدر تيمور خان قرارا يفرض بضرورة إنقاذ القبض على
 تيمور لك ثم إعدامه بعد ذلك.

علم تيمور لك بالقرار الذي أصدره ضده تيمور خان، لذلك قرر أن لا يعود
 إلى مقر إقامته، وأن يهرب إلى الخيل يحتمي به، وكان هذا القرار من تيمور لك
 سببا في أن يظهر أمام العامة من الشعب في صورة نصير الضمماء وحامي حمى
 رجال الدين.

الاتحاد مع الغريم

استقر تيمور لنك في الجبال محتباً من جنود تيمور خان، وأرسل خبية إلى أحد علماء الدين بمكان إقامته لينقل له الأخبار، لم يمض وقت طويل حتى كان عالم الدين قد أرسل لتيمور بتوصية أن يتحالف مع أخى زوجته الأمير حسين والشواجد أيضاً في نفس المنطقة بعد هزيمته من جيش تيمور خان.

التقى تيمور لنك مع الأمير حسين حيث قرر الاثنان ضرورة الوصول إلى خوارزم نظراً لعدم وجود أتباع كثيرين معهم في الجبل.

وكان الأمير حسين لا يحب تيمور لنك لكن بمجرد أن رآه استقبله استقبالا طيباً، مما زاد من حيوية تيمور الذي رأى في حسين حليفاً رائعاً لكونه ملكاً في كابل، بينما كان حسين يريد الاستفادة من القدرات القتالية والمهارات القيادية التي يمتلكها تيمور.

الوقوع في الأسر

بعد أن قرر تيمور لنك والأمير حسين السفر إلى خوارزم قرروا أن يسلكوا طريق القوافل المار بالمندى الكبيرة على الطريق الموصل إلى خوارزم من ناحية البحر - حر خوارزم وحالياً بحر آرال - وأثناء اقترابهم من مدينة خيما قرر حسين أن يدخلها ويجتمع مع حاكمها لسابق صداقة بينهما.

وصل تيمور لنك وحسين إلى حاكم خيما الذي أحسن استقبالهم وكان هذا الاستقبال الرائع منه دافعا لأن يعرض الأمير حسين على توكيل بهادر - حاكم

جيدا الاشتراك معهم في الثورة على الخوفا الجفطانيين الوثنيين بقيادة تيمور خان، لكن توكيل رفض عرض حسين على الففور، بل سعى للعذر بهما عن طريق اعتقالهما، ولما شعرا منه تلك فراهبا وسارعا إلى حيث زوجتيهما وأيضا التابعين لهما من الجنود والذين كان عددهم لا يزيد عن ستين فردا.

قرر تيمور لك أن يتجه إلى مدينة أوركنج وهي ثاني مدن خوارزم، لكن توكيل بهادر أرسل علمهم ألف فارس لإلقاء القبض عليهم حيث كان ينوي بعد أن يقضى عليهم أن يرسلهما إلى تيمور حاكم للحصول على المكافآت السحبة منه، بالإضافة إلى توطيد مركزه ووضعه عند الخان.

وقد جرت معركة بين رجال توكيل وتيمور ورفاقه قليلي العدد والعدد، وللمرة الألف يشت تيمور لك قدراته العسكرية الرفيعة، حيث استطاع أن يهرب هو وحسين وزوجتيهما من أيادي جنود وصباط توكيل، لكن هذا الهرب الذي حدث بعد مناورة عسكرية كبيرة كان من نتائجه حاصرة تيمور لك لكل الجنود الموالين له، وكانوا يراقبونه في تلك الرحلة العصية حيث قتلوا جميعا على يد رجال توكيل.

بعد أن بعد تيمور لك وحسين عن أرض المعركة جلسا ليسترخيا ويتدبرا أمرهما، وكانت النتائج النهائية للمناقشات التي تمت بينهما أن كل واحد منهما يجب أن يسير وحيدا خشية أن يتم اكتشاف أمرهما ثانية على أن يلتقي في حراسان

ومع بروج أول صوم للفرج تحرك تيمور منفردا ونصحته زوجته وحلامه، وأثناء سيرهم في الصحراء قابل بعض الرعاة فاستصر منهم عن أقصر طريق يؤدي به إلى حارج الصحراء، فنصحوه الرعاة بالسير في الطريق المواجه له حيث أحبره الرعاة أن بعض التركمان يسكنون على طول هذا الطريق.

استكمل تيمور سيره ووجد فعلا بعض الخيم والأكواخ لكنها كانت حالية من السكان، وعندما تجول بيها لاستطلاع الأمر تجمع حوله بعض التركمان طامعهم

أنه لص أو قاطع طريق، مما اضطر معه تيمور إلى الاشتباك بالسلاح مع من يهاجمونه، وقبل أن تزيد المسألة على الأرض أصدر زعيم التركمان أمرًا لرجاله بالتوقف عن القتال واتجه مسرعًا ناحية تيمور لك مرحبا به وهو يقول بأعلى صوته لأفراد عشيرته: إنه سيد ما وراء النهر.

تجمع التركمان حول تيمور وهم يعلنون أسفهم له، ثم قدموا له الطعام والشراب، وفي مقابل ذلك أعطى تيمور لك لرعيهم ياقوتة كبيرة، وكذلك بعض الملابس المرصعة باللاقي، وأحبرهم أنه سينادر المكان مع حلول الصباح، فأعطاه زعيم التركمان ثلاثة من أفضل وأقوى الخيول التي يمتلكها، كما منحه أيضًا مرشدًا ليدلهم إلى أنصر طريق نحو الجنوب.

استمرت تلك القافلة الصغيرة التي يقودها تيمور على سيرها المستصر في الصحراء مدة ١٢ يوما حيث وجدوا قرية خربة، ففرروا أن يستريح بها قبل أن يستكمل رحلتهم، لكن لم يمض وقت طويل حتى كان بعض رجال القبيلة المجاورة للمكان الحارب الذي توقف فيه تيمور قد شاهدوهم فذاعمهم وأخذوهم أسرى لشيخ فيلئهم.

كان اسم زعيم القبيلة التي أسر رجالها تيمور هو علي بك الذي تعرف على تيمور فقهرت في رأسه فكرة أن يساوم تيمور خان على تسليم تيمور لك له. لذلك أمر رجاله أن يجلبوهم في مكان أمين وعين عليهم حراسة مشددة.

وقد علم أخو علي بك عما يفكر فيه أخوه فتصحه ألا يتدخل في الأمور ما بين تيمور ولك وتيمور خان، وحثه على ضرورة إطلاق سراحه.

نمذ علي بك نصيحة أخيه وأتلى سبيل تيمور لك وزوجته وخدامه ومرشد الطريق، لكنه لم يعطه أي شيء مما تم سلبه منه بل احتفظ بأحمتهم وأعطاهم حصانًا واحدًا تدو عليه ملامح الهزال والتعب والإرهاق.

تجميع الرجال

بمجرد أن أصرح عنه على بك سار تيمور لك باتجاه نهر أموداريا حيث انضى هناك ببعض من أخلص حلفائه وكان عددهم ١٥ رجلاً، وقرر أن يعبر نهر أموداريا للذهاب إلى سمرقند حيث لوصله تمكيه أن دهايه إليها هو الأكثر أمناً له، حيث لن يخطر ببال رجال تيمور خان أنه سيحتج فيها، لكن قبل أن يواصل سيره أرسل زوجته عد بعض الأقرباء الذين يعيشون بجوار صفاق نهر أموداريا مع وعد منه بإرسال رسله لإحضارها له في كابلول.

ومع حلول المساء كان قد استطاع أن يعبر النهر، وأصبح على بعد خطوات من المدينة التي يبحث كل من فيها عنه، ودخلها متخفياً أثناء خروج الناس من المساجد بعد أدائهم لصلاة المغرب، واتجه مباشرة إلى منزل أخته قتلغ نوركان رغم الحراسة الشديدة المفروضة على دارها من رجال إلياس بن تيمور خان الذي كان قد أحكم قبضته على المدينة.

وقد وجد أن إلياس قد ترك لحنوده الثمان في التسيكل بالسكان وإعمال عمليات النهب والسلب لدورهم وأموالهم.

لذلك جال بحاطره أن يقوم بتجميع أكبر قدر من الرجال ويشعل نار الثورة بهم، لكن بعض من المقربين له متعوه من تنفيذ تلك الفكرة، لأن فرص مجاحها ضئيلة، كما أجبروه أن رجال إلياس عرفوا بوجوده في المدينة، وهذا معناه أنهم في طريقهم ليقبض عليه إن لم يكن عاجلاً فإت بالضرورة آجلاً.

ونتيجة سماعه هذه النصيحة خرج من سمرقند مساء متجهاً إلى المدينة
 الخضراء، وبمجرد وصوله بدأ الانتصار يتوافدون عليه إلى أن وصلهم عددهم إلى
 ألف رجل قادر على حمل السلاح، وكان أغلب هؤلاء المناصرين له من قبيلته.
 شعر تيمور أنه قد أصبح مالكا للقوة التي تمكنه من مواجهة عطرسه إليس، كان
 المقرين منه يصحوه بالتروى والهدوء، وطلبوا منه أن يسافر إلى قندهار بالقرب من
 كابول، حيث إن الأمير حسين قد وصل إليها في طريقه إلى مملكته بكببول، فوافقهم
 تيمور على هذا الرأي.

مشاكل الطريق

كان على تيمور ولك ورفاقه أن يعبروا الطريق الجبلى الوعر في قمة جبال
 هذوكوس، بالإضافة إلى تعرضهم للكثير من غارات سكان القبائل المنتشرة على
 طول الطريق مما كان يجبر تيمور ولك على الوقوف لمواجهة هؤلاء المهاجمين، وقد
 استطاعوا في كل مرة أن يحرزوا النصر ويشتروا شمل مهاجميهم، وكان من نتيجة
 تلك الانتصارات أن ازداد تيمور ورفاقه عى نتيجة الأسلاب التي عموها من
 المهاجمين بالإضافة إلى اكتسابهم للكثير من الأمصار .

وعلى الطريق السهل الموصل إلى قندهار وجد تيمور جيوش حليمة الأمير
 حسين بانتظاره، وكان جيشه يتكون من حوالي ٤ آلاف جندي وجيش تيمور قد
 أصبح الثمن من الجثود .

اكتساب الانتصار

بعد أن التقى الحليقان ببعضهما البعض بعد رحلة طويلة من المعاناة قررا أن يستريعا من طول الرحلة التي حاصها كل منهما بالإصابة إلى بدء هطول الأمطار والثلوج، ومع نهايات فصل الشتاء استنجد الأمير جلال الدين محمود أمير منطقة السيستان بصديقه الأمير حسين وكذلك تيمور للوقوف معه في وجه الثورة التي شبت صده من شعبه، وقد تعهد جلال الدين بدفع المال الكثير لهما إذا ما ساعده.

بمجرد إتمام الاتفاق اتجه تيمور لك وحسين بجيوشهما إلى المناطق التي بها الثورة حيث استطاعا اقتحام الحصون التي يحصن بها المتمردون، وعجرو تحقيقهما للمصر الذي يريده جلال الدين الدهن محمود توقف تيمور عن القتال حيث أمر جيشه بالخفوة لراحة عكس حسين الذي أمر رجاله بالقيام بأعمال سلب ونهب لكل القرى والمدن التي يدخلونها .

وقد أثارت تلك الأعمال من جنود حسين حتى الأمير جلال الدين خاصة بعد أن لاحظ أن حسين يترك الحاميات العسكرية في كل قرية أو مدينة يدخلها، لذلك انسحب من الحليعين متسحرا بجح الغلام وعاد إلى شعبه حيث انصم بقواته إلى صفوف المتمردين عليه، وقرر أن يهاجم جيوش حسين وتيمور لك.

وفي هذه المعركة أصاب تيمور سهم في يده وأصابه آخر في صدره، ورغم ذلك تناهى تيمور عن تلك الإصابات التي لحقت به، وقبل أن يحل الليل كان جلال الدين محمود قد منى بهزيمة ثقيلة، وهذا ما زاد من الغنائم التي ختمها كل من تيمور لك وحسين.

وجدير بالذكر أن تلك الإصابة التي لحقت بتمور لك في فحسه كانت السبب الرئيسى والوحيد لإصابته بمرض دائم في رجله وهو ما دعا أعداءه فيما بعد ليطلقوا عليه لقب انتك. أى الأعرج، ولذلك أصبح اسمه ابتداء من عام ١٣٦٣م هو تيمور انتك- الأهرج - اتفق حسين وتيمور انتك على الافتراق، حيث اتجه حسين إلى مملكتة السليبة التي يحكمها واحد من الجلفطائيين نيابة عن تيمور خان وذلك بفرص تحررها.

بينما بقي تيمور انتك في أرسوف بجوار قنصهار ليستكمل مداواة جراحه، بالإضافة إلى إراحة جيشه، وأيضا استقبال المزيد من الاتباع الذين يريدون الانضمام إليه لكونه يمثل الأمل الوحيد لهم الفادر على الوقوف في وجه إلياس وأبيه تيمور خان بعد أن زادت حدة أعمالهم الوحشية لكان بلاد ما وراء النهر

وقد استغل تيمور انتك توقيعه في أرسوف وازدهاد عدد قواته يوما بعد يوم في العمل على توسيع المناطق التي يسط عليها نفوه وسلطانه بعرص ثامن إمدادات الطعام لجنوده الذين وصل عددهم إلى عدة آلاف، وقد كان من الذكاء في هذه المرحلة بأنه لم يحاول أن يفسر بمصالح سكان هذه الأراضي، أو أن يثير حميقتهم صده، لذلك نجارب سكان هذه المناطق معه، وأصبحوا يمدون قواته بكل ما تحتاجه من مأكولات مقابل حصولهم على ثمن ما يقدمون.

كل الأمور في صالح تيمور لك

أثناء عودة الأمير حسين إلى كابول لاستعادة ملكه من يد المغول الجعلطائيين كان متشكياً بالانتصارات والأسلاب التي حصل عليها في السيستان لذلك دخل في معركة مع أحد جيوش المغول الموجودة بالشمال على طريق كابول وكان يعتقد أن النصر حليفه، لكن الرياح أتت لما لا تنتهيته نفسه على أرض المعركة، إذ تعرض لهزيمة قاصمة ولزلت كيانه جيشه، وقد وصلت تلك الأخبار إلى تيمور مما دفعه إلى التحرك بقواته في محاولة منه لئلا شمل هذا الجيش المشتت، وأبهاها لعرض آخر في نفسه وهو أن يضم جيش حسين إلى قواته.

وقد نجح في سعيه، إذ أحكم قبضته على جيش حسين ومعه من انهرت إلى الهبال أو الأبرواء بين المزارعين، وفي اليوم الذي قرر فيه أن يمضد مرة أخرى إلى مقر تمركر قواله استيقظ من نومه مبكراً وكان معسكراً على ضفة أحد خدازون حيث أبصر على الضفة الأخرى مجموعة كبيرة من الخنود وكان اتجاه سيرهم يدل على أنهم قادمون من بلخ، وهي إحدى المدن الواقعة تحت سيطرة تيمور خان، لذلك أسرع بإيقاظ رجاله، واستطاع جواده وأنجه إلى تلك القوة المسلحة محارلاً التعرف عليهم، وعندما اقترب منهم وأصبح في مرمى رؤيتهم سألهم عن وجهتهم وعن المكان الذي أتوا منه، فأخبره قائلهم أنهم من حاشية الأمير تيمور لك، وأنهم يبحثون عنه منذ مدة وفي كل مكان يصرفون أنه سيصله بدهبون إليه لكنهم يجدونه قد هادره، لم يعرف تيمور لك على شخصية محدثه لكنه أخبره أنه يقدر على توصيلهم بتيمور.

قادهم تيمور لك إلى مقر إقامته، وبعد أن وصلوا إلى مقر إقامته وسط رجاله وجوده كشف لهم عن شخصيته، ففرحوا جدا وأعبروه عن أنفسهم حيث كانوا ثلاثة من أهم رؤوس الأقباز في قبيلة البرلاس، ثم أقسموا له بمضى الولاء والطاعة، وقد كانت قوتهم عبارة عن ثلاثة كتائب من الفرسان بالإضافة إلى العديد من جنود المشاة.

وهكذا لعبت الأقدار دورا هاما في صالح تيمور لك إذ زاد عدد أتباعه المخلصين بالتضام الكثير من أفراد قبيلته له، بالإضافة إلى أن الخسارة التي لحقت بحلبه الأمير حسين قد أثت على الكثير من السمعة العسكرية لهذا الأمير، مما زاد من قدر تيمور في أعين جوده، بالإضافة إلى أن كل أفراد الشعب في سمرقند والمدينة المحصورة وأغلب مدن بلاد ما وراء النهر كانوا في انتظار تيمور ليفدوهم باعتباره أملهم الوحيد، وفي نفس الوقت القادر على الوقوف في وجه هطيان وجيروت إلياس بن تيمور وكذلك تيمور خاند.

الانتصار على بيكجيك

أمضى تيمور لك الوقت في الراحة وتدريب الجود، بالإضافة إلى اهتمامه بشمام شعبه من الإصابات التي لحقت به في حرب السيستان، خاصة وأن جيشه أصبح يزداد عدده عن ستة آلاف فارس.

و ذات يوم وصلت أخبار مؤكدة من رجاله المتحركين في نقاط المراقبة التي أقامها على مسيرة من شواطئ نهر آموداريا تؤكد أن جيشا من المغول الجغتائيين بقيادة بيكجيك يتحرك بمحاذاة الشاطئ الشمالي للنهر وهو الشاطئ الآخر المواجه للشاطئ الجنوبي الذي يعسكر به تيمور بجوده، وكان هذا التحرك يعني أن قوات بيكجيك

خرجت من مدينة فارش - المدينة المحصورة - وأنه في طريقه قد اجتاح مدينة ترمذ كما أكدت تلك الأخبار أن العديد من أمراء المدن في بلاد ما وراء النهر قد أعلنوا تحالفهم مع إلياس بن تيمور خان، وأنهم تعهدوا له أن يقوموا بتسليم تيمور لك ولأمير حسين له، وقد كان جيش بيكجيك يتكون من عشرين ألف مقاتل.

امر تيمور لك جيشه بالتأهب، ثم أحله وسار به على الشاطئ موافقاً لحركة سير قوات بيكجيك، وقد أسرع تيمور في سيره للوصول بمقدمات جيشه إلى الجسر الذي يربط بين صفى النهر، وكان هذا الجسر مقاما على أكثر المناطق صيفا في النجدي، فالتى للنهر، ونجح تيمور لك في مسعاه، وتوقف بجيوشه عند الجسر ولم يحاول أن يمرر للوصول إلى الضفة الأخرى من النهر - الضفة الشمالية -.

وصلت قوات بيكجيك وصكرت أمام الجسر في الضفة الشمالية ولم يحاول بيكجيك العبور من أجل الاشتباك مع تيمور لك.

مرت الأيام والوضع لا يتغير، فقرر تيمور لك أن يحدد بيكجيك من طريق عبوره بقواته يهدده مستعلا غلام الليل من أجل أن يحتمى بمحموعة من التلال التي تكون شكل نصف دائرة عمدة جهة النهر وتقع خلف المكان الذي تعسكر به قوات بيكجيك. وكان قد ترك مجموعة من جنوده لا يزيد عددها عن ٥٠ فارس لحماية رأس الجسر، وأمرهم بأن يتشروا بحيث يبدون لمن ينظر لهم أنهم أكثرية.

عندما برح نور الجسر عرف بيكجيك من آثار الحصول على الأرض أن هناك عملية عبور ليلية قد تمت من قبل قوات تيمور لك وعندما نظر إلى الضفة الجنوبية للنهر وجد القوات التي كان تيمور قد تركها لحماية رأس الجسر تنتشر بعمق كبير مما أثار شكوكه في انضمام بعض الأمراء إلى جيوش تيمور لك.

لذلك قرر سكجيك أن لا يقوم بأي حركة لأنه بذلكه العكسي صرف الحطة العسكرية التي سبقه بها تيمور لك وهي أنه إذا ما قرر أن يتحرك عابرا الجسر

للوصول إلى الضفة الجنوبية لنهر بعرص الاشتباك مع القوات التي أمامه وإن القوات الناجمة لتيemor والمتحصنة بالتلال ستقوم بمهاجمة مؤخرة جيشه، وفي نفس الوقت إذا ما حاول أن يهاجم تلك القوات فإنه سيتعرض لخطر الهجوم من قوات تيemor التي تحكم في رأس الحسر الموصل إلى الضفة الشمالية من النهر، وبالتالي فقد وجد أن أفضل الحلول له هو أن يبقى ساكناً في مكانه حتى يبدأ تيemor في الحركة ومن ثم معرفة مجهوده الرئيسى في القتال.

والفأين أنت تيemor لك حكمة كقائد عسكري، إذ أمر قواته بعدم الحركة والتمسك السكون حتى يتبين رد الفعل الحقيقي من بيكجيك، وقد انقضى النهار على هذا الحال، وفي المساء قام تيemor بتوزيع قواته على جماعات صغيرة احتلت كل خطوط المواجهة الأمامية لتلك التلال التي تأخذ شكل نصف الدائرة، ثم أمر تلك المجموعات أن تشعل البسرا في فروع الأشجار، وأن يلوحوا بها جهة اليمين واليسار.

عندما شاهد بيكجيك تلك النار المتوهجة خلفه وكذلك الحدود المراسطين على رأس الحسر أمامه قرر الانسحاب من أرض المعرفة.

وأثناء انسحابه شن تيemor هجوما شرسا على مؤخرة جيش بيكجيك مما ألحق به خسائر فادحة، مما كان له أثر كبير في أن تدب الفوضى بين جيوشه وأخذوا يهربون دون وجود تنظيم تكبكي ينظم عملية الانسحاب.

وقد انتهت قوات بيكجيك باتجاه مدينة كيش - حاليا شهرى سير - واستمرت قوات تيemor في مطاردتهم على الرغم من محاولات الأمير حسين وقف اندفاع قوات تيemor في الاستمرار في مطاردة قوات بيكجيك

لكن تيemor لك لم يستمع إلى نصيحة حليفه، حيث قرر أن يتجه إلى منطقة تدعى باب الحديد لئلا الطريق على قوات بيكجيك ويضعها من الوصول إلى سمرقند، وقبل أن يصل إلى باب الحديد اختار ٦ من أفضل الفرسان وأمرهم

بالتقدم السريع نحو مدينة كيش، وأن يدوروا حولها وهم يجرون حملتهم أصنام الأشجار مما يثير الغبار الكثيف ويمنع الرؤية عن المدافعين - جيش ييكجيك

وقد أثمرت تلك الخدعة التعمورية نتائج باهرة، إذ ظن الحاكم المعولي للمدينة أن جيشا جرارا يهاجمها، فمما كان منه إلا أن انسحب منها هو وجيشه وانتفت في أثناء هروبه بجيش ييكجيك الذي كان معسكرا في منطقة قبي من

قبل أن تعيب شمس هذا اليوم كان تيمور لك قد وصل بجيشه إلى كيش، وهناك انضم له كثير من الأنصار .

وفي نفس هذا الوقت كان إلياس بن تيمور خدان قد وصلته أخبار تغسوق جيش تيمور لك على ييكجيك، فقام بإرسال تعريجات إصافية من القوات والسلاح ولؤلؤ إلى ييكجيك، كما سار هو بنفسه على رأس جيش ليقهر بعضه تيمور لك

انصرفت قوات الدعم بقيادة إلياس نكيب الخدان في بلاد ما وراء النهر مع قوات ييكجيك في منطقة قبي من على بعد ٤٤ كم من كيش بانتهاء مسيرته، حيث كانت جيوش تيمور لك قد وصلت إليها وبدأت في الاشتباك القوي مع ييكجيك وقواته، واستطاع أن تشتت شملها نظرا لإرهاق قوات ييكجيك مما حدث لها في معركة الحسر، كما استطاعت بعض أجنحة جيشه في مباغتة جيش الدعم الذي يفوقه إلياس من المؤخرة والاحزاب مما تشتت شملها واستطاع سليمان البرلاسي وهو أحد أقارب تيمور لك من أسر إلياس، كما تم أسر ييكجيك أيضا، وهكذا انتهت المعركة بهزيمة مروعة لإلياس وكان هذا معناه انتهاء احتلال الحفطانيين لبلاد ما وراء النهر .

ذكاء تيمور لنك

بعد أن هُزم في المعارك استدعى تيمور لنك أسراه إلى مقر إقامته حيث أكرم معاملة الأمير إلياس ويكجيك وكبار القادة الجنطائيين ثم أمر بإطلاق سراح إلياس، وهناك قول آخر ذكره العديد من المؤرخين المعاصرين لهذه الفترة أن إلياس هرب من السجن، وهناك رأي آخر يقول أن الذي ساعد إلياس على الهروب هو تيمور لنك شخصياً لكي أسبل إلى الرأي القائل بأن تيمور لنك قد أطلق سراح إلياس ويكجيك وكبار القادة الذين تم أسرهم وذلك لعدة أسباب أهمها

- ١ - عدم رغبة تيمور في دخول مواجهة حاسمة مع تيمور خن الذي يمتلك جيشاً أكثر عدداً وأفضل تسليحاً.
- ٢ - محاولته إغراء بعض هؤلاء القادة ومن ضمنهم يكجيك على الخدمة في جيشه .

٣ - عدم رغبته في توسيع جبهات القتال قبل أن يحسم أمره مع حلفائه بشكل عام من زعماء قبائل بلاد ما وراء النهر والأمير حسين على وجه الخصوص

٤ - عدمه أن تيمور خان قد مات، وبذلك فإن مصلحته كانت في اعتلاء إلياس كرسي العرش خلفاً لوالده، وذلك لأن عدم جلوس إلياس على العرش سيعمل على اعتلاء أحد الطامعين فيه عليه، وسيكون أول ما سيفعله هذا الطامع هو محاربة تيمور لنك ليضمن أن يلتف حوله كل أسراء وقادة بلاد الجنطائيين

وكان تيمور لنك قد أصدر أمراً إلى نصف قوته بالرحيل نحو سمرقند لدخولها، ومن ثم يكون هذا الدخول إليها بمثابة الإعلان الرسمي عن سقوط عرش الجنطائيين على بلاد ما وراء النهر، وفي نفس الوقت اتجه هو على رأس بقية الجيش

لنهر سيرداريا لمواجهة جيوش الجغتائيين التي كانت تريد الثأر لهزيمة قائدها لكنها عندما شاهدت تيمور على رأس قواته انسحبت من أمامه .

وهكذا عاد تيمور بفواته بعد أن ترك مفررة عسكرية أمامية تابعة له على نهر سيرداريا حيث انضم لباقي قواته التي كانت على وشك الدخول إلى سمرقند .

وقد استقبل أهالي سمرقند تيمور لك استقبال الفاتحين المتصهرين لقدراته على تحليلصهم من حكم الجغتائيين الشرقيين ، خاصة وأنه كان أملهم في تحقيق هذا الحلم وما هو لم يخلدهم

خلافات بين الحلفاء

لم يهنا كثيرا تيمور لك بانتصاره الكبير وتحريره سمرقند وبلاد ما وراء النهر من ير استعمار الجغتائيين حتى بدأ في مواجهة الخلافات الكبيرة التي بدأ يفتردها الكثير من الأمراء المحليين وقادة وزعماء القبائل ، حيث كان يرعب الجميع في أن يستغل عديته أو قريشه بعيدا عن السلطة المركزية التي رارا أن تيمور لك يسمى لتكريسها من أجل توحيدهم .

ومن أجل منعه من حكم بلاد ما وراء النهر وسمرقند هؤلاء فرروا أن يكون أحد أفراد أسرة جغتاي بن جكيك حاكما هو حاكمهم ، وكان اسمه كابل وقد عينوه خانا عليهم .

عارض تيمور هذه الفكرة ، وقد نصحه بعض المقربين منه بأن يحسم الأمر بحد السيف ، لكنه رفض تلك الفكرة ، وأعلن للجميع رفضه لفكرة الخشوع لخان من الجغتائيين وعاد سمرقند بجيشه للإقامة في مدينة كيش - شهرى سيز

إلياس الخان

بعد أن استقرت أمور الحكم بين يدي إلياس بن تيمور كخان على الجغختانيين الشرقيين قرر أن يثأر من هريمته أمام تيمور لترك، وأن يعاود احتلال بلاد ما وراء النهر مرة أخرى، ولم يهتم بأن حانها من أقاربه وهو الخان كابل.

خرج الخان إلياس على رأس جيشه القوي وكانت تتقدمه كتبة من حملة الأعلام بشعارها المفقولي المميز وهو القرون، وكان ذلك في ربيع عام ١٣٦٥م.

ولما تراءت تلك الأحبار إلى أمراء وقادة بلاد ما وراء النهر هادوا إلى صوابهم واتحدوا حيث تكونت جيوش بلاد ما وراء النهر من كل قبائلها مثل السبرلام واجلاتر وسلدور إلح، حتى أن بعض المطرعين الأفغان دخلوا إلى هذه القوات.

وأمام هذا الموقف المصيب تحرك تيمور لك بقواته التي تبلغ حوالي ستة آلاف رجل حيث عسر نهر سيرداريا واقترب من جيش الأمير حسين، وقد كان لتيمور خطة عسكرية تهدف إلى الإيقاع بقوات الخان إلياس قبل وصوله إلى سمرقند لكن الأمير حسين رفض خطة تيمور لك.

ولتأكيد إعلان رفضه لخطة اتجه الأمير حسين بقواته نحو الشمال متقدما عدة كيومترات من مكان تمرير قوات تيمور لك.

وفي هذه الأثناء وصلت مقدمات جيش الخان إلياس واشتبكت مع قوات الأمير حسين، ولم يستطع الأمير حسين أن يصمد أمام هجومها الحار، ففشت قواته واستمرت في تقدمها حيث التقت بقوات تيمور لك الذي استطاع أن يوقف زحف قوات الخان إلياس، لكنه لم يستطع أن يطور وضعه من الدفاع إلى الهجوم نظرا لقلة

عدد قواته مقارنة بجيوش الخان إلياس، كما أن الأمطار هطلت شدة مما أفقد قوات الطرفين القدرة على القيام بمناورات تكتيكية سريعة، وكان هذا الوضع سببا بالنسبة لتيemor لك باختيار أن قواته هي الأقل عددا، وبالتالي أصبح لزاما عليه أن يخصص معركته من خلال أوضاع تتسم بالثبات مما أفقده كثيرا من حيويته، وهو ما ظهر جليا على حجم الخسارة التي منى بها في أفراده، حيث خسر حوالي ٤ آلاف مقاتل وأمام هذا الوضع قرر أن يسحب من أرض المعركة محافظا على البقية الباقية من جيشه

ونتيجة لتشتت جيوش الأمير حسين وبعد ذلك انسحاب تيemor لك بجيشه من أرض المعركة أصبح الطريق ممهدا للخان إلياس وجوؤه لدخول سمرقند، وعندما وصل إليها وجد أن قبائلها قد التحدت لمواجهة كما سبق القول، مما أجبره أن يقوم بحصار المدينة على أمل استسلام المدافعين عنها.

لكن المدافعين عنها استمروا على يقظتهم واستطاعوا أن يبسدوا أي سريّة من قوات الخان إلياس كانت تحاول الاختراق من أبواب أو أسوار المدينة، مما دفع الخان إلياس إلى تشديد حصاره عليها مع عدم مهاجمتها

وقد دخل الشتاء القارس على البلاد مما عرّض جيوش الخان إلياس المعسكرة في الخلاء حرق المدينة للكثير من الأمراض، سواء بين الأفراد أو الخيول، حيث نفّس الطاعون بينهم مما كان له أكبر الأثر في إضعاف جيوش الخان إلياس

وفي نفس الوقت كان أهالي سمرقند المحاصرون قد أرسلوا بالاستغاثات المتتالية إلى تيemor لك ليساندهم في التخلص من الحصار وطرد جيوش الجمعاتيين

بني تيemor لك النداء وأتى بما بقي من قواته ومن انضم له من الأنصار وعندما رأى الخان إلياس جيوش تيemor لك تسحب من أرض المعركة، وأحد في مطاردة جيوش إلياس ويقتل منهم ما استطاع إلى أن اطمأن على عودتهم إلى بلادهم،

كما أن الأمير حسين كان يمود كسر روابط للحة التي تربط تيمور لك بالناس، نظرا لارتباطه بى محيلاتهم بأنه المتقد، كما كان هناك آخر على عاية الاهمية راد من تاجييج هذه الصراع بينهما أو طعوه على السطح بلا حجل فى العلاقة التي تربطهما وهو مسرت ألوحاى روجه تيمور وشقيقة حسين، حيث كانت أثناء حياتها قدوة على سرح قتل الصراع حتى وإن لم يصل إلى سامعها تفاصيل ما بينهما من خلافات، وذلك لحب كل منهما لها، وفى مسيل عدم إعضائها كان كلاهما يتفاضى للأخر.

وما ساعد أيضا على بدء هذا الصراع بينهما إحساس الأمير حسين أنه الأثوى باعتباره يعرض بعوده على مناطق واسعة ومهمة فى نفس الوقت من بلاد ما وراء النهر حيث كان يعرض نفوذه على بلخ وقندوز - قندهار - كابول وكانت أغلب قبائل عشائر تلك البلاد تعترف بغيره وسلطانه

بما كان تيمور لا يسط نفوذه إلا على كيش، نظرا للظروف الكثيرة التي مر بها فى حياته، وكانت تدفعه دائما للهرب والاختباء فى الجبال خوفا من إلقاء الجمعيين القبض عليه، ورغم ذلك فإنه كان يحظى شأيد كل علماء الدين وحب عامة الشعب سطرًا لظوئه وشجاعته التي أظهرها مرارا، وكان الناس يشاققوسها على أنستهم أثناء سهرات سمرهم

لكن الذى أظهر الصراع بينهما على السطح هو إسراع الأمير حسين بالدخول إلى سمرقند كمستمر على الحاد إلياس الذى قتل فى دخول المدينة، وقد استمل حين شعاع تيمور لتك بمطاردة السحيين ودخل إلى سمرقند

وبمجرد أن دخلها عمد إلى فرض سلطانه وسنطته عليها، حيث أصدر فور دخوله للمدينة مجموعة من القرارات التي تنظم عملية جمع الضرائب وتحديد خطوط التجارة من وإلى المدينة، كما قام بتوزيع الاراضى الزراعية فى المدينة على أقرب أنبائه.

ولما عاد تيمور من مطاردته لحيوخ الخان إلياس وجد أن الأمور قد استقرت بهذا الشكل في يد حسين رغم اقتناعه الداخلي بأنه السبب الحقيقي في تحقيق كل تلك الانتصارات.

وكان أكثر ما فوجئ به تيمور لك بعد عودته إلى سمرقند هو عدم قيام الأمير حسين بمنحه أية أموال أو غنائم من التي تم سلبها من الأعداء، بل فوجئ بما هو أكثر من ذلك حيث طلب منه حسين أن يدفع له بعض الأموال من ماله الخاص، واستمر في الإلحاح مما دفع تيمور أن يدفع له مبلغ ثلاثة آلاف دينار، وبعد ذلك طلب منه حسين أموالاً أخرى ولم يكن مع تيمور أي أموال يمكن أن يعطيها لحسين، لذلك قام باعطائه مجوهرات زوجته التي هي أخت حسين وقد أحد حسين تلك للمجوهرات رغم علمه بأنها تخص شقيقته المتوفاة، وبعد ذلك طلب منه حسين أن يتنازل عن سيادة أراضي الواقعة في الوادي بالقرب من أنهر، عنده فقط رفض تيمور الاصطباع لرغبات حسين وأعلنت العلاقة بينهما شكل الصراع.

الانسحاب إلى قارش

رغم كل الانتصارات السيئة من الأمير حسين تجاه تيمور لك فإنه - أي تيمور - ظل من ناحيته متمسكاً بأواصر القرابة التي بينهما، وأنها حلفاء، لكن زادت تصرفات حسين سوءاً حتى أصدر أمراً يقضى برفع قيمة الضرائب التي يجب على رجال قبيلة البيرلام أن يدفعوها، وقد حاول تيمور إنشاء حسين عن هذا القرار إلا أن حسين أصر على موقفه.

وكان هك الموقف المتشدد منه هو القشة التي قصمت ظهر البعير، إذ لم يتحمل تيمور تلك معاناه أهله الذين فقدوا كل ما يملكون تقريباً في المواجهات التي تمت

مع بيكيجيك ومن معه من إلياس، سواء كان نابيا عن والده في حكم بلاد ما وراء النهر أو عندما أصبح الخان بعد موت والده.

لذلك اتخذ تيمور قرارا في منتهى الحكمة وينم قس من الوقت عن حكمة سياسية، إذ قرر أن يخرج بقواته من سمرقند واتجه إلى قارش، حيث اعتبر أن قرار تركه بسمرقند بمحض إرادته إن هو إلا إعلان قسوى به على رفض التصرفات التي يقوم بها حسين في سمرقند، ومن نفس الوقت يكون قد تحاشى الدخول في صدام عسكري معه .

وبمجرد أن وصل هو ورجاله إلى قارش قرر أن يسي فيها قلعة من الحجر، واعتبر الأمير حسين ما فعله تيمور في قارش من الأعمال العدائية ضده على الرغم من أن قواته - قوات حسين - تسطر على المدينة بكاملها بما تضمه من قلاع وحصون، حيث كان يقودهم القائد العسكري البارع موسى الذي شارك تيمور لك في الانتصار على بيكيجيك وأيضا على الخان إلياس

وقد أوفر حسين لقائه موسى بأن يقوم بعض الأعمال التي من شأنها إثارة حتى رضيع تيمور لك الذي كان قد أعطى أغلب جنوده وفرسانه أجزات طويلة يصفونها مع أهلهم، ونم ييز معه إلا ٢٤ جندي وفارس وثلاثة أمراء هم الأمير جاكو والأمير مؤاري والأمير داود

ولما زادت تحرشات موسى بتيمور لك ورجاله قرر تيمور أن وقت لمواجهة وتصفية الحسابات مع الأمير حسين قد حان، لذلك قرر أن يستولى على قارش، ولما كانت محصنة محصنا جيدا وأيضا بها أعداد كبيرة من الجرد والفرسان المسلحين تحت قيادة موسى القائد المحك فقد رأى تيمور أن لمواجهة المباشرة في هذا الوقت لن تعيده، خاصة في ظل عدم وجود أغلب جنود جيشه معه بعد أن منحهم تلك الاجازة للراحة بعد كثرة المعارك التي خاضوها.

اقتحام القلعة

وبالنسبة إلى اتجاهه تمكيده إلى ضرورة دخولها بالحيلة والمكر، لذلك قرر أن يذهب إلى الأمير حسين آل هرات ملك هرات بمطقة خراسان حتى يطلب منه العون، وأن يكون حليفه فيما هو فاعل، وقد ظهر التردد على ملك هرات وهو ما لاحظته تيمور من قسماات وجهه

لذلك طلب منه أن يصده ببعض المال، فوافق ملك هرات على ذلك، فرجع على الفور تيمور لنك من هرات وصحبته كل رجاله الـ ٢٤، وفي طريق عودتهم إلى قارش بلمستهم أخبار مصرفة موسى بتحريكهم إلى ملك هرات، وأنه لذلك تم تشديد الحراسة على المدينة.

استمر تيمور ورجاله في السير نحو قارش إلى أن وصل لبر مياه قريب منها موجود على ريو عالية، واستخدم هذا الشر الرجال المكلفون بحراسة قلعة وحصى المدينة، متوقف هو ورجاله واحتشروا وسط الأشجار للحيطه بالبشر وأخذوا يصيحون السلالم من الجبال وأبها الجبال.

وكان تيمور قد كلف بعضاً من رجاله بالمراسعة حول البر، وأن يقوموا بأسر كل جندي من جنود موسى يأتي إلى الأرنوا من مياه البر.

نفذ الرجال ما أمرهم به قائدتهم واستطاعوا أن يأسروا كل من أتى من جنود موسى، وعندما حل الظلام وكانت ليلة نلا قمر تيمور لنك ومعه اثنان من رجال واتجهوا نحو القلعة الحصينة وعندما أصبحت على مرمى بصر منهم أبطاوا السير وأخذوا يرهقون السمع، ولما لم يسمروا أي صوت تقدموا بحذر أكثر باتجاهها

إلى أن وصلوا إلى الخندق الذي يحيط بالقلعة، هتفوا عن السير والحركة كالعادة وأرعدوا أسماعهم فلم يسمعوا إلا صوت الصمت، فواصلوا سيرهم حتى وصلوا إلى القنطرة التي تصلهم بأسفل الخائط الرئيس للقلعة، فمروا من فوقها، وأصبحوا بعد لحظات قصيرة يلمسون بأيديهم أسوار القلعة التي ينام بداخلها آلاف من أقوى الجنود التابعين لموسى الذي ياتر بأوامر الأمير حسين حميد قازغان

وفار ولف تيمور حول السور إلى أن وجد حراً منه صعيقاً فقام بهذهه بجمع الأحجار منه حتى أصبحت الفتحة التي فتحها فيه تكفي لمرور رجل، عندئذ أمر واحداً من معه أن يعود للرجال للخبث لياتوا بالسلام والحبال التي صمغوها .

لم يمض وقت طويل حتى كان كل رجال تيمور الـ ٢٤٠ حوله، فأمر بعضهم بنصب السلالم وتسلق السور، وأمر البعض الآخر بالدخول من الفتحة التي شقها في السور، وبعد أن احتل رجاله الأسوار قام بتوزيعهم على كل أنحاء السور

وعند الشروق أمر تيمور بعض من رجاله بندق الطبول وانفجح في الأبواق، فقدم كل جود وفرسان وقادة الحامية من نومهم، وكذلك السكان الذين يسكنون بالقرب من القلعة والكل معزوع مما يسمع ويرى

عندئذ أمر تيمور لك قادة القلعة وفرسانها بإعلان استسلامهم وإلا سيتعرضون للقتل على أيدي رجاله، ولما كانت أسوار القلعة من كل الاتجاهات يحق عليها الـ ٢ رجل بعد تصور قادة القلعة أن جيوش تيمور تقف حلف الأسوار على أهبة الاستعداد للدخول في القتال فأعلنوا استسلامهم، فخيرهم بين أن يوالو ويصبحوا من جوده أو أن يتم حبسهم إلى أن ينظر في أمرهم، فاقسموا جميعاً له يمين الطاعة.

وهكذا استولى تيمور لك بالحيلة على قاراش، وكان ابن موسى هو قائده فابعد تيمور بها ولم يرسله إلى أبيه في المرح على صفة النهر

خيانة في معسكر الأمير حسين

بمجرد أن وصلت أخبار امتيلاء تيمور لك على قلعة فارش وكذلك للمنيعة إلى الأمير حسين حتى اشتياط غضبا وتحرك بجيش قوامه عشرة آلاف فارس ومعه الأمير موسى.

عندما وصلت تلك الأخبار إلى تيمور لك قرر أن يلاقي حسين وموسى في أسوأ وأصعب مكان مشعر مته قوتهما للوصول إليه، وكان هذا المكان عبارة عن محر جبلى وعمر وخصيق، وكان اسم هذا الممر جيكجك لذلك سارع بثلاثمائة فارس فقط واستطاع أن يصاحب بهجومه حسين وموسى، واستطاع أن يقتل على الكثير من قوتهما، لكنه أدرك أنه لن يحقق النصر نظرا لكثرة أعداد جيش حسين وموسى، فقرر أن يسحب إلى خراسان بعد أن ترك حوالي ٢٠٠ من رجاله للدفاع عن مدينة بخارى.

وبما تيمور لك يقرب عن معه من جنود إلى نهر سيرداريا وصلته أخبار انسحاب الثوب من أهم أمراء الأمير حسين من الحلف الذى يضمهم معا وكان هذان الأميران هما الأمير حسرو حاكم مدينة ختلان والأمير بهرام أمير منطقة الخلائر، وكان إجمالى ما معهما من قوات يبلغ ٧٠٠ فارس، فقرر تيمور على الفور أن يعبر النهر ليقاتلها ويحرض عليهما الانضمام له، وفعلا حقق ما أراد منهما.

بقى تيمور وحليفاه فى طشفند للراحة، وفى نفس الوقت تسقط أخبار الأمير حسين، فعلموا أنه أرسل بعض المقاتل الأممية من جنوده لتبع تيمور لك

عدما وصلت تلك الأخبار لتيemor لك حرج للاقاة كل مفررة على حدة واستطاع أن يهرمها، وعندما وصلت تلك الأخبار إلى الأمير حسين راد جونه، وانذفع بجيش كبير نحو الشمال لمواجهة تيemor، فما كان من تيemor إلا أن عاد مسرعا إلى طشقند، لأن الشتاء كان يذق الأبواب، ولذلك لم يستطع الأمير حسين أن يستمر في سيره لمقابلة تيemor .

وكان تيemor عندما احتار الانسحاب إلى طشقند كان واعيا لمسألة دخول الشتاء ومفوط الثلوج، لذلك أكر أن يعد بجيشه، وفي نفس الوقت كان يعرف مدى عناد وغباء حسين، لذلك توقع أن يستمر في سيره وبذلك يقابله وهو في قمة الإرهاق...وفعلا كادت رؤية تيemor تتحقق لولا الخسائر الكثيرة التي لحقت بجيوش حسين من أثر البرد الذي نفضها والثلوج التي أمطرت عليه، وهذا كان ما دفعه للتوقف عن استكمال مسيرته إلى طشقند .

هجوم الجفطائيين

كان تيemor لك يخشى خشية كبيرة من محاولة المغول الجفطائيين الشرقيين من مهاجمة بلاد ما وراء النهر، وفي نفس الوقت كان يخشى من تحالف حسين معهم لذلك قرر أن تكون مادرة توجيه الأحداث بيده، وأرسل إلى الخان إلياس طالبا منه مساعدته في الهجوم على قوات حسين في سمرقند وبلاد ما وراء النهر، وقد وافق الخان على ذلك بسرعة نظرا لأطماعه في أن يحكم قبضته على كل المغول سواء كانوا من الوثنيين أو المسلمين .

وقد وصلت تلك الأخبار إلى الأمير حسين، فخاف بشدة مما قد يحدث له من هجوم للجفطائيين، لذلك عقد اجتماعا مع علماء الدين الإسلامي ودعمهم دفعا للتوسط بينه وبين تيemor لك وحلفائه من أجل الصلح، وفعلا تحققت رغبة الأمير

حسين واجمعت جميع الاطراف على مبيد كل الاحداث السابقة مع ما صاحبه من ضغائن.

لم يمض وقت طويل على هذا الصلح بين الخلفاء حتى موحى الامير حسين بقنوم جيش مغولي كبير يهدف إلى احتلال سمرقند، وكان أول ما فعله حسين هو أن أرسل جيشا قويا لمواجهة الهجوم للمولى بقيادة موسى، لكنه فشل في صد الهجوم المولى حيث هاجمته القوات المولى بشراسة عند محاولته عبور نهر سيردر يا مما أجبره على الانحاب من أرض المعركة

عما كان من حسين إلا أن سافر بنفسه إلى تيمور في كيش، وأخذ يحصيه للدفاع عن أراضي البلاد، فوافق تيمور على الخروج بجيشه حيث توجه إلى أرض المعركة وقابل قادة الجيش المولى، واستطاع بالحيلة أن يوقعهم في الانتقام، حيث عرض على كل قائد على حدة أن ينضم إليه ويسحب من الجيش المغولي مقابل أن يعيه حائلا على بلاد ما وراء النهر بشرط أن يأتمر بأمره - أي بأمر تيمور - .

كان هذا العرض مغريا لبعض القادة ومرفوضا من آخرين، ومن ثم دب الخلاف فيما بينهم وتحولوا إلى قتال بعضهم البعض، ولما لم يستطع أى منهم حسم المعركة لصالحه اتفقوا على الانحاب من بلاد ما وراء النهر عائدين إلى عاصمتهم الذليك

وهكذا استطاع تيمور بدكاته ودعائه من إصعاف كل القوى التي كان يحشى منها على نفسه وعلى جيشه وأيضا على بلاده، إذ بالقتال الذي شت بين المولى فإنهم خسروا الكثير من رجالهم وعتادهم، وبالسبب لحين حر حيرة رجاله ومرسانه عندما حاول وقف زحف المولى

ثورات ضد حسين وتيمور يربح

بعد رجوع جيش المغول الجغتاييين إلى بلادهم عاد أيضا تيمور لك بقواته إلى كيش وعاد الأمير حسين إلى سمرقند، وهذه الأحوال في البلاد، فما كان من حسين إلا أن عاد إلى سياساته المتشددة تجاه أفراد الشعوب التابعة له من حيث زيادة قيمة الضرائب المفروضة عليهم، أو تحديد ما يجب عليهم أن يسودوه إليه من منتجاتهم الزراعية .

لذلك ثارت حدة ثورة عارمة من أهالي منطقة بدخشان التي تقع في جبال هندوكوس، وقد حاول في البداية الأمير حسين أن يقضى على تلك الثورة لكنه لم يستطع، بل زادت حدة الثورة ضده، وذلك ما دفعه إلى طلب النجدة من تيمور لك ليشولي بإية حته وقب تلك الثورة، وقد لبى تيمور لك دعوة حسين وانطلق إلى بدخشان حيث اجتمع بعلماء الدين وكبار رجال المنطقة، واستطاع أن يقمهم بالانصياع مرة أخرى إلى سلطة الأمير حسين مع وعد منه بإلغاء الضرائب الجديدة التي فرضها عليهم، وكذلك ضماناته لإلغاء كل القوانين التعسفية التي أصدرها حين بشأنهم

وهكذا استطاع تيمور أن يجمع من حوله الأمراء وكبار رجال القوم وعلماء الدين، لذلك قرروا استضافة تيمور لك عندهم وعاملوه معاملة الملوك، وقد أعجبت تيمور حالة الود والحب المتبادل بينه وبين أفراد الشعب في بدخشان فعالت إقامته بها .

وكانت هذه الإقامة الطويلة مدعاة لفتن حسين، حيث حاف أن يعمل لتيمور

المعصيان ضده من هالك، لذلك أعدد يرسل له الخطابات التي تطلبه بسرعة العودة إلى سمرقند لمسيرته وما لم يجد استجابة من تلك الخطابات أرسل له خطابا يحبره فيها بقيام ثورة أخرى جديدة ضده في جنوب نهر أمادوريا، فتحرك تيمور إلى سمرقند حاصدة وأنه قد وصله خطاب في نفس الوقت تقريبا من الأمير خسرو الذي تربطه بتيمور علاقة عائلية حيث إن جهاتكير بن تيمور كان متزوجا من بنت خسرو. وفي هذا الخطاب وضع خسرو لتيمور أنه والأمير محمد سلدوز قررا الثورة على ظلم حسين، ولذلك يطلبان منه أن ينضم إليهما.

أرسل تيمور لك ردا إلى الأمير خسرو أخبره به أنه لن يستطيع الانضمام إليهما في ثورتهم ضد حسين، نظرا للقسم الذي محه للأمير حسين بأن لا يخرج من طاعته ما بقي حيا.

ومجرد أن وصل تيمور لك إلى سمرقند قابل حسين الذي طلب منه أن يخرج على رأس جيشه وصور النهر لإخماد الثورة وأن يصحب معه القائد موسى.

رفض موسى تنفيذ أمر الأمير حسين بحجة إرهاق جيشه. بينما نقد تيمور لك أمر الأمير حسين وعبر بقواته النهر، ومجرد أن رأت جيوش الثوار جيش تيمور لك انسحبت من أرض المعركة وفر الأمير خسرو إلى اخبال، وبعد أن أنهى تيمور لك مهمته بسجاح لم يعد إلى سمرقند حيث ذهب إلى كيش مكانه المفضل للجميل.

طموح السلطنة

ها هو تيمور لك أعاد بحكمته ودهائه وقوته الهدوء إلى كل ريع بلاد ما وراء النهر، وأصبحت الحياة هادئة في البلاد بعد أن اتعد عنها خطر الجمعطين بعد حيلة تيمور لك والتي سبها تقاتل جيشها مع بعضه.

لكن كالعادة قرر الأمير حسين أن يعلن نفسه سلطاناً على بلاد ما وراء النهر، وأرسل برسالة إلى تيمور يخبره فيها بما عزم عليه، وأنه ينتظر منه الكثير من المساعدة، ثم أتبع تلك الرسالة برسالة أخرى يطلب فيها من تيمور لك أن يقابله في مدينة بلخ، لأنه قرر أن تكون هي عاصمة السلطنة الجديدة وكعاد تيمور أن يذهب إليها ليقابل الأمير حسين لولا أن وصل إليه أحد أصدقائه الخلفاء من أعضاء مجلس حكم الأمير حسين حيث أبلغه أن حسين يموى به الوء في بلخ، ولذلك من الأفضل أن لا يسافر إليها ويرسل له خطاباً يخبره فيه بمرضه

أعلن تيمور لك رفضه السفر إلى بلخ فجن جنون الأمير حسين الذي سارع بإرسال جيوشه إلى كيش، والهدف الرئيسي لعمل هذه القوات هو إجبار قبيلة البرلاس وهي قبيلة تيمور لك على الهجرة إلى بلخ .

رفض كبار رجال القبيلة الانصياع لأوامر حسين، وانجهوا إلى تيمور يطلبون منه الوقوف في وجه حسين، وقد نظر تيمور لك لرغبة حسين بتجهيز قبيلة البرلاس بالقوة إلى بلخ إلى أنه تجاوز شديد وخطير من حسين في حقه، إذ إنه بإقدامه على هذه الخطوة يكون قد حول الصراع بينهما من صراع سياسي إلى صراع شخصي.

لذلك هب تيمور لك للدفاع عن حقوق قبيلته وأيضاً كرامته التي أراد حسين أن يعثرها، وقاد جيشه واستطاع أن يلحق الهزيمة بجيوش حسين الذي انقسم جزء منها إلى جيوش تيمور لك، وما رأى تيمور لك ذلك قرر أن يعير على البلخ نفسها حيث يقم بها حسين مع القسم الأعظم من جيشه

وبمجرد أن علم العامة بما قرر تيمور حتى أخذوا في الدعاء له بالنصر، أما الأمراء فقد تحالف منهم الكثير معه، وكان أبرز المنضمين إلى قوات تيمور الأمير خسرو والأمير محمد بابان سلدوز.

مقتل الأمير حسين

سار تيمور لثك بجيوشه باتجاه بلخ، وكان ذلك عام ١٣٧م وأثناء توقفه في مدينة ترمذ قابض هناك القائد العسكري الشهير موسى الذي أعلن تحليه عن الأمير حسين وانضمامه للعمل تحت راية تيمور لثك، وتحرك بجيوشه عائدا إلى سمرقند لتأمينها من أى هجوم، بينما استمر تيمور لثك في السير إلى بلخ، وأثناء عبوره وقواته نهر آمودريا انضمت له بعض قبائل الجنطائين الوثنيين، وكان من أبرز تلك القبائل قبيلة أبيورد.

وما أن وصل تيمور لثك وقواته إلى السهل المحيط ببلخ حتى وجد حسين وجيشه في انتظاره، ودارت المعركة المرتقة بين الحليين السابقين، وقد نجح في البداية الأمير حسين في الصمود أمام الضربات الموجعة التي كاهلها له تيمور لثك وقواته، إلا أن الحال لم يستمر طويلا، إذ إنه مع بزوغ فجر اليوم الثاني للمعاركة بدأت قوات الأمير حسين في الانسحاب من أرض المعركة، حيث دخلت إلى المدينة محاصرها تيمور لثك واقتحم أسوارها ودخلها.

لما رأى الأمير حسين ذلك هرب من على رأس الجيش وذهب إلى أحد المساجد، حيث حلق ملابس الإمارة وتكر في ملابس العامة، وعندما حل المساء حاول أن يهرب من المدينة لكس بعضاً من سكاتها وأره وتعرفوا عليه واقتادوه إلى الأمير محسرو الذي قتله.

ونتيجة لذلك أصدر تيمور لثك الذي أصبح الرجل القوي والوحيد في كل بلاد ما وراء النهر أمرا بمصادرة كل أملاك وأموال الأمير حسين، حيث قام بتوزيعها

على أنصاره، وكان الشيء الوحيد الذي احتسب تيمور لك نفسه به هو مجوهرات زوجته أرغشاي والتي كان قد أخذها منه الأمير حسين رغم علمه أن تلك للمجوهرات هي مصاغ شقيقته أرغشاي.

السلطان تيمور لك

بعد أن دخل تيمور لك مدينة بلخ وجد حوله قلوب أفراد عامة الشعب وكذلك كل الأمراء والقادة يقبلون بسلطته ويرتضون نفوذه، شعر تيمور لك أن الأمور قد بدأت تستقيم له وخاصة بعد أن تخلص من الأمير حسين.

لم يذاكر تيمور لك بلخ، بل أقام فيها مدة ليست بالقصيرة انقضت الفخرة الأولى منها في تلقى التهاني سواء من عامة الشعب أو من الأمراء، وفي هذه الأثناء واتته فكرة أن يعين نفسه سلطانا على كل بلاد ما وراء النهر، وكانت له أسبابه التي تدعوه إلى ذلك، وأهمها :

- ١ - رغبته في أن يكون لبلاد ما وراء النهر نظام حكم مستقر.
- ٢ - رغبته في اتحاد كل الممالك والمدن في بلاد ما وراء النهر تحت قيادة واحدة

- ٣ - شعوره بطمع المغول الجغتائين في بلاد ما وراء النهر
- ٤ - رغبته في استثمار الدفعة المعنوية التي يحيط بها كل أفراد شعب وأمره بلاد ما وراء النهر .

وكانت هناك مشكلة تراجعه وهي أنه ليس توراً، أي أنه لا ينحدر من النسل الميانسر لحكيم خان من زوجته الأولى، وفي محاولة منه لحسم تلك المشكلة قرر عقد كوريلتاي وهو عبارة عن مجلس يضم كل رؤساء القبائل وأمراء المطلق من

دوى الأصول المغولية، وقد كانت معظم قبائل وشعوب بلاد ما وراء النهر من المغول.

لم يعض وقت طويل حتى كان أعضاء الكوريلتاي قد بدأوا فى الوصول إلى بلخ، وبعد أن وصل كل قادة وزعماء وأسراء الشعب المغولى انتح تيمور لتلك اجتماعات الكوريلتاي حيث عرض عليهم السبب الرئيسى لدهوتهم للاجتماع كانت آراء بعض الأمراء وزعماء القبائل أنهم يرفضون تبم سلطنة فى البلاد، حيث رأوا أنه من الأفضل لها أن يحكم كل أمر أو زعيم قبلة منطقته وبالشكل الذى يترأى له، وعند تعرض البلاد لخطر فإن الجميع أن يتحدوا من أجل رد المعتدى، وقد كانوا يقصدون تحديدا فى كلامهم المغول الجمعطائيين.

وقد فريق آخر كان يعارض الفكرة التى تم طرحها، وكان مبرر المعارضين أن الرأى الذى طرح معاه التكريس لبقاء البلاد مفتة مفسمة، وأنه من الممكن بمضى الوقت أن تمارس مصالح تلك الممالك الصغيرة مع بعضها البعض ومن ثم تنشب بينها الحروب مما قد يعمل على تدخل المغول الجمعطائيين.

وكان هناك رأى أخير تناء زعماء أكبر القبائل فى بلاد ما وراء النهر حيث طالبوا الجميع بضرورة الالتزام بالقواعد العامة للحكم التى وضعها الخان الأكبر جنكيز خان، وطالبوا المجلس بالبحث فيما بينهم عن شخص تنطبق عليه القواعد التى وضعها جنكيز خان ويكون تيمور مائلا له بكل سلطات وصلاحيات الخان

وأخيرا جاء دور المسلمين من غير دوى الأصول المغولية وقد فوصوا بالبيعة عهم أحد علماء الدين، فوقف وطالب أن يكون تيمور هو السلطان على كل بلاد ما وراء النهر باعتباره الوحيد القادر على وحدة البلاد، وأنه لا مشكلة من محالفة القواعد التى وضعها جنكيز خان لمن يحكم المغول حيث به كل الجائسين أنهم على

الرغم من أصولهم المغولية إلا أنه قد أصبحوا مسلمين، وأصبح لهم أن الشريعة الإسلامية منحت احتكار جس معين أو بيت معين لأمور السلطة في أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية.

وبعد ذلك وبجهد حديثه للقادة العسكريين والأمراء، ووضح لهم أنهم قبلوا بحكم الممول المحتطاتين ولم يحاولوا أن يثوروا عليهم إلى أن أشعل تيمور لك شرارة المقاومة، ثم ذكرهم بأنهم كانوا يكرهون الأمير حسين، ورغم ذلك طؤوا على طاعتهم له وعندما اندلعت الثورات ضدّه خافوا من موجهته ولم يتحركوا إلا بعد تأكدهم من تحرك تيمور ضده، رغم أن تيمور أثناء حركته ومواجهته لحسين لم يطلب المعونة من أحد.

ولذلك فإن تيمور عبر مطالب بتعزيز طلباتكم باعتباركم ثورتين ثم حثهم حديثه موضعاً لهم أن المصلحة العامة لبلاد ما وراء النهر تحتم اتحادها ووحدها خلف سلطان قوى يستطيع أن يحميها من أطماع الممول المحتطاتين.

وقد قال عالم الدين هنا الكلام وهو يعلم أن تيمور لك ليس هو الحاكم المسلم التقى الورع، بل قاله لأنه كان مدركاً أن تيمور لك يعطيه وذكائه ودهائه وحكمته وحكمته وقوته هو الوحيد القادر على فرض النظام في كل أرجاء بلاد ما وراء النهر، ومن ثم فإنه الوحيد القادر على كبح جماح رعبات وأطماع الممول في بلاد المسلمين.

وكان الذي دعم رأى عالم الدين الإسلامي هو إعلان جمهور الحدود وانفرسان والباطر رعيتهم في أن يعتلى تيمور لك عرش البلاد، وأعلنوا أنهم لن يرضوا بأي شخص آخر بدلاً له في حكم البلاد.

وهكذا انتهى الاجتماع وكل من فيه قد اتفق بوجهة نظر عالم الدين ورجال الجيش، وبالتالي لم يعد أمامهم إلا تنصيب تيمور سلطاناً عليهم، وهو ما حدث في

اليوم التالي حيث اجتمع كل زعماء القبائل والأمراء وقادة الجيش وعلماء الدين، وانتهبوا إلى تيمور في مقر إقامته ودخل كل واحد منهم إليه حيث أمسكه بيده، وبعد ذلك حملوه جميعاً وأجلسوه على كرسى العرش، ومن ثم أصبح تيمور لك سلطاناً عليهم منذ تلك اللحظة، وبعد ذلك وقف الجميع أمامه وأقسموا له ولاء الطاعة

ووقف واحد منهم وقال: منذ الآن فإن تيمور المعارب هو تيمور الأمير، وإن كل الحاضرين في الكوريلتاي سيكون الإخلاص لتيمور هو شرفهم وستجلب الحياة له العار لأسمائهم وألعتة على أبنائهم، ومنذ الآن فصاعداً سيكون تيمور حكاماً في المحصرات، وعليه أن يعمل جاهداً لحماية أملاكهم.

ونحن حديث تيمور قساقلاً... إنا هو غيب آمالنا وتغلى عنا فون من حقاً أن نعقد كوريلتاي آخر لنختار أميراً جديداً.

بعد ذلك وقف تيمور لك وهو ممسك بالمصحف حيث لقسم لهم أنه لن يتركهم أو يخونهم أو يقوم بأى عمل لا يرتضونه.

وكان أول عمل قام به تيمور بعد تنصيبه سلطاناً هو قيامه بتوزيع الهدايا على جميع من حضروا حفل تنصيبه، وتراوحت هذه الهدايا ما بين الأحصنة الأصيلة والملاس المرصعة بالأحجار الكريمة والأسلحة

وفي اليوم التالي لتنصيبه سلطاناً على بلاد ما وراء النهر قام تيمور لك بتعيين الوزراء الذين سيحملون معه مسئولية الحكم، وعين قائد عام الجيش وقادة الحيرش المختلفة، وقام بتعيين حكام المدن والبلاد الرئيسية في البلاد، وقد راضى في اختياراته أن يكون المعين على أعلى درجة من الكفاءة والحكمة والخبرة للمنتصب الذى تم اختياره له، وفي نفس الوقت راضى أهمية القبائل المختلفة أثناء التصفية في المناصب الكبرى في الدولة، وقد نالت اختياراته استحسان كل قادة القبائل والأمراء مما عمل على رفع الروح المعنوية له ولهم على حد سواء، وقد حدث ذلك في أواخر عام ١٣٧١ م.

نهج جديد للحكم

كعادة الأفراد الزعماء قبل أن تيمور أحكم كل غيوط السلطة بين يديه على كل بلاد ما وراء النهر والهند، لكنه كان يسمح للخاصة من حوله أن يدلوا بدلهم في الأمور التي تهم الدولة، وكان يصفى إليهم باهتمام ويدخل في نقاشات عميقة معهم لمعرفة أسباب رأيهم، لكن في كل الأحوال لم يسمح لأحد إطلاقاً بالتأثير على قراراته، أما لو كانت المناقشات التي تدور معه غرضها المعارضة للمعارضة فإنه كان سريع الحسم عن طريق إسكات محدثه.

وكان أول شيء فعله هو قراره التخلص من نخاسة الأمير المقتول حين لما رفضوا الانضمام تحت رايته، وأخذ يشدد على حكام المدن والبلاد الذين حينهم بضرورة مراقبة تحركات الممول الجعطالين.

كما كان بين اخين والحين يرسل أفضل فرقه العسكرية لاختراف حدود بلاد الجعطالين والتوغل بها والعمل على قتل أي جيوش مغولية تقابلها، وغرضه الاساسي من ذلك إثبات قوته وقدرته للمغول، بحيث تكون تلك الهجمات البسيطة التي يأمر بشنها ما هي إلا أحد وسائل ردع للمغول حتى لا يهاجموه.

واتخذ أسلوب القسوة والعنف مع أي محاولة كان أي من الأمراء أو زعماء القبائل يحاولون القيام بها ضده بعرض الانفصال عن سلطانه، إذ كان يرسل على الفور العديد من ألوية الجيش تلك حصونهم وتقوم بتكليفهم بالحديد ليفعوا بين يديه، حيث كان يعتقد لهم المحاكمات العسكرية التي كانت تدبر أفعالهم ويتم الحكم عليهم بالإعدام. ويتم الإعلان عن تلك الأحكام في كل أرجاء البلاد.

ويتم قدر قسوته على معارضيه ممن يريدون الانفصال عن الدولة كان حنوناً

رقيقا بأفراد شعب كل بلاد ما وراء النهر ، حيث عمد إلى توفير قرص العمل لهم وحماية مزارعهم وتأمين خطوط المواصلات التجارية سواءً التي تربط بين المدن المختلفة في البلاد أو التي تربط بلاد ما وراء النهر بالممالك الأخرى مثل الصين ومغول الجبال وروسيا .

وأخذ رويدا رويدا في عزل غير المسلمين عن وظائف الدولة الكبرى والحساسة ، وقد اتخذ من مدينة سمرقند عاصمة له ، وحتى تكون له الشرعية الكاملة فإنه عين محمود بن ميور ختميش وهو من نسل أرغوندای بن جكبير خاتن على البلاد وإن كان لا يمتلك أية صلاحية لممارسة فعل السلطة في البلاد .

واتبع سياسة العفو عن كل من حذروه وقت الحفلات والمصراعات أبداً أن كانت بلاد ما وراء النهر ممزقة بين الممالك الصغيرة وزعماء القبائل ، وذلك قبل أن يوحدها هو بعد مقتل الأمير حسين ، ونتيجة لتلك السياسة تمعّج للعمل على إبعاد مدينة سمرقند ومعظم المدن الكبرى في سلطته ، وكان كل مجهود موجهاً لإزالة آثار الاحتلال المغولي - الجغتائيين - وأيضا آثار الحروب التي دارت فيها لذلك أخذ في بناء المساجد والحدائق والمدارس وبيوت الصياقة ، كما أنه قام بإلقاء القصص على حصانات قطاع الطرق والتي كانت تتخذ من سمرقند مأوى لها ثمّارس من خلالها بطشها وقسوتها على الناس .

رفض الاحتلال

كانت مدينتي كات وحيوه - وهما من بلاد ما وراء النهر - واقعيتين تحت سيطرة الاحتلال حكّام مدينة حوارزم التي كانت تحكمها أسرة آل صوفي

لذلك كان تحرير تلك البلاد من السيطرة الحواريية أمراً هاماً وضرورياً من وجهة نظر تيمور لئلا، ليطمئن على تمام إحكام سيطرته على كل بلاد ما وراء النهر خاصة وأن حسين صوفي حاكم حوارزم كان ينظر إلى تيمور لئلا نظرة دوتية، لذلك صعد بعد اعتلاء تيمور لئلا حكم بلاد ما وراء النهر على زيادة إحكام سيطرته على كات وحيوة، وفي نفس الوقت حافظ على أن تكون علاقته بتيمور لئلا علاقة تتسم بالود لذا نجده قد أرسل الهدايا مع رسله لتهنئة تيمور لئلا باعترافه عرش بلاد ما وراء النهر.

وبالنسبة لتيمور كان يشعر أن بسط آل صوفي لسيطرتهم على كات وحيوة شوكه في ظهوره تجمع من الحركة بحرية في مواجهة أية أخطار محتملة قد يتعرض لها، وذلك لأن آل صوفي لهم أطماع في توسعة ملكهم، إذ كانوا يعتقدون أنهم الأكثر حضارة من كل البلدان الواقعة في وسط آسيا نتيجة انتماسهم في الثقافة الإيرانية ذات الجذور الفارسية .

لذلك استغل زيارة رسول حسين صوفي له ليقدّم له التهنئة وأرسل معه خطاباً إلى حسين صوفي يطلب فيه منه أن يقبل يرواح ابنته - ابنة حسين - من ابنه جهانكير .

وقد جاء الرد على ما طلب كالآتي: لقد استبحت بالسيف حوارزم وبالسيف فقط يمكن أخذها من ومن رد حسين صوفي يعرف أنه فهم مغزى طلب تيمور منه، إذ إن طلب تيمور كان يعني :

- ١ - أن تيمور ينظر إلى حسين صوفي وملكته كإيماء له .
- ٢ - أنه يطلب باسترداد المدينتين التي يحتلها حسين صوفي .
- ٣ - أنه يطلب بتطبيق قوانين جيكير خان في حكم البلاد التي فتحها في عشقوا

٤ - أنه يطالب بكل الحدود القديمة لختابه المنول الجعطلتين .

وأمام هذا الرد الشرس من حسين صوفى قرر تيمور لك أن يخرج على رأس جيشه لتأديب حسين لكن أحد مستشاريه أقنعه بأن يرسل أولاً رسولا نية عنه إلى حسين صوفى فى محاولة لحل كل نقط الخلاف بينهما وذلك حفاظا على دماء المسلمين موافق تيمور على هذا الاقتراح وأرسل رسوله إلى حسين والذي ما أن وصل إلى أوردكنج حتى اعتقله حسين وأودعه السجن وأرسل خطابا إلى تيمور يخبره فيه بما فعله .

مبارزة لم تتم

ثار تيمور أمام هذا التجمع الكبير من الأمير حسين وخروج على رأس جيش كبير يتكون من خمس فرق من الفرسان، غير المشاة ورماة الأسهم والرماح، وتقدم نحو كت وحيرة حيث استطاع دحولهما دون أية مقاومة تذكر، ولم يحاول أن يأخذ قسما من الراحة، بل استمر فى تقدمه حتى أصبح على مشارف عاصمة حوارم أوردكنج.

وكان حسين عندما وصلت الخبر ما قام به تيمور قد خرج بجيشه من مدينة أوردكنج، لكن بمجرد أن رأى حجم جيوش تيمور انسحب عائدا إلى عاصمته وأحكام غلق أبوابها، وقام بتشديد الحراسة على أسوارها، فلما وصل تيمور ووجد الأمر هكذا قرر أن يحاصرها، ولما لم يكن يمتلك أدوات الحصار ومعداته من قاذفات حجارة والأبراج المتحركة والسهل المتحركة وللمقاتل قرر أن يطلقها من عاصمته بعد أن ألغى بجيشه حول أسوار المدينة.

إلى خوارزم مرة أخرى

عاد تيمور إلى مسمرقند بعد أن عين يوسف صوفي بالسا عنه في حكم بلاد خوارزم وقد شعر تيمور بالراحة إذ إنه أخيراً قد استطاع أن يسيطر بعوده على كل أراضي بلاد ما وراء النهر، واستمر بعد عودته في مراقبة الأحوال في البلاد شرق النهر - المفلوج الجمطائين.

لكن ما عكر الأحوال وصفو الحال في بلاد ما وراء النهر اكتشاف تيمور لك لحركة تمرد يقودها الأمير خسرو حليفه السابق في مواجهة الأمير حسين شقيق زوجته، عندئذ أمر تيمور لسك رجاله بإلقاء القبض على الأمير خسرو، فأتوا به مكبلاً في السلاسل، وقد قُيِّم تيمور لك بمحبته وجد رسالة في جيبه تبت اشتراك الأمير يوسف صوفي معه في هذه المحاولة الانقلابية... فقام تيمور لك باستجواب خسرو كثيراً في أمر يوسف صوفي، ولما تأكد من صلوحه في المؤامرة خرج هودا على رأس جيش كبير واتجه إلى أوركنج، ولما رأى يوسف صوفي تيمور بجيوشه أمامه أعلن اسمه عما فعل، وطلب من تيمور العفو والأمان فرفض تيمور، وبسبب كان بعد العدة لمحاكمته وصلت خان زادة زوجة ابنه جهانكير إلى أوركنج وتوسلت لعمها يوسف، فصرح تيمور لرسائلها وعمها عنه، بل وأبقاه في منصفه حاكماً على خوارزم كئيب له، وكان ذلك في عام ١٣٧٣م.

استمر الهدوء في العلاقة بين تيمور خان ويوسف صوفي مدة ست سنوات تقريباً، إذ إنه في عام ١٣٧٨م استغل انشغال تيمور لك بالدعاع عن أراضيه أمام هجمات مغول الجماعة الذهبية وأعلن استقلال خوارزم عن سلطة بلاد ما وراء النهر، وقام بشن حملة عسكرية على مدينة، بجارى وألقى القبض على أحد رسل تيمور له

لذلك اتجه تيمور بجيوشه فور انتهائه من هزيمة معول الجماعة الذهبية إلى حوارزم، وعند وصوله إلى العاصمة أوركنج وجد يوسف قد حصن المدينة تحصينا جيدا، فما كان من تيمور إلا أن أحكم حصاره على العاصمة، ذلك الحصار الذي استمر حوالي ثلاثة عشر شهرا إلى أن استطاع دخولها، وقد عامل تيمور لنك أعداء بقسوة وأهلها للسلب والنهب من قبل جنوده، وقام بهدم أسوار مدينتها وحرق قلاعها وأهدم يوسف صوفى.

وفي طريق هودته إلى سمرقند وجد أن قبيلة جلالت قد أهلكت المصبيان عليه مستعملة أشعانه في الحرب ضد معول الجماعة الذهبية وأيضا ضد حوارزم، حيث تخاف رعياء القبيلة مع قادة المعول حيث حاولوا دخول سمرقند لكنهم فشلوا في دخولها نظرا لوجود جهاتكير بن تيمور بها مع بعض القوات.

لذلك قام تيمور بتدمير مدينة جلالت تدميرا كاملا حيث لم يترك بها مبنى واحدا يرتفع عن سطح الأرض، وبعد أن عاد إلى سمرقند قام بتوزيع أراضي جلالت على العديد من القبائل الأخرى، وذلك حتى يضمن عدم رجوعهم إلى المصبيان ضد مرة أخرى.

احتلال خراسان

بعد أن استطاع تيمور لنك إحكام قبضته بالكامل على حوارزم بكل ما تملكه من مراعى حضرته وأراضي زراعية زادت مولود بلاد ما بين النهرين، وفي نفس الوقت اطمأن تماما على الأحوال الداخلية للبلاد بعد أن استطاع أن يقضى على كل رؤوس الفساد والفتنة في البلاد.

لذلك بدأ يتجه بانتظاره إلى خراسان ليضمها إلى سلطانه ويستفيد من خيراتها، وكان مبرره لذلك الآتى:

- ١ - أنه شعر أنه قد أصبح قوة كبرى في المنطقة.
 - ٢ - ضعف المغول الجغتائيين.
 - ٣ - إن خراسان كانت أحد فروع أو مناطق دولة الأيوبيين التي كان جده هولاكو قد أسسها وتعاقب على حكمها أبنائه وأحفاده، وبعد سقوطها أصبحت تسبح في بحر من الفراغ السياسي والعسكري.
 - ٤ - ورثت دولة الأيوبيين العديد من الممالك الصغيرة غير المتحدة، وهي نفس الوقت تتمتع ببعض اقتصادي، ومن ثم فإنها سهلة الوقوع بين قبضته.
 - ٥ - عدم رغبته في المواجهة المباشرة مع المغول الجغتائيين نظراً لارتباطهم برباط وثيق بمغول الجماعة الذهبية الذين يسيطرون على جورجيا وكييف وموسكو.
 - ٦ - رغبته في الوصول إلى الشام المعروف بغناه الاقتصادي، ومن بعده إلى مصر والتي كان يحسبها الكعبة الشامية الكبرى في العالم والتي حاول جنكيز خان وهولاكو الحصول عليها ولكنهما ميا بالفشل.
 - ٧ - مدينة ومطقة خراسان هي المعبر الأساسي له للوصول للعراق والشام ونتيجة كل هذه الأسباب السابقة نجد أن تيمور خان استثمر بجبايته في بسط سيطرته على خوارزم في بداية عام ١٣٧٩م، صعد بجيشه إلى عاصمته سمرقند حيث أعطى جنوده وفرسانه فترة راحة بسيطة استرجعوا بها حيويتهم وقوتهم، وقدم بتجميعهم للتحرك نحو خراسان .
- وقد اتبع استراتيجية عسكرية مبتكرة في هذا الوقت وهي أنه هاجم خراسان بجيشين، حيث نجد أن الجيش الأول منح قيادته لابنه ميران شاه، ولم يمتز أكثر من أسبوعين حتى خرج تيمور بنفسه على رأس القوة الصارية لحيوته، حيث عبر نهر أمودريا وصحابة نجه ناحية مدينة سرحس هبارج حاكمها الملك محمد إلى

إعلان خضوعه لتيemor، فطلب منه تيemor أن يمدد بالمؤن اللازمة للجيش نظراً لتوجهه إلى حراسان لإسقاط آل كرت من على كرسى عرشها.

ثم تحرك من سرخس على طريق مدينة هرات حيث دخلها وكان حاكمها الأمير غياث الدين قد أعلن استسلامها، فعفا تيemor لك عن سكان المدينة وأبقى غياث الدين أميراً على المدينة كتأنيباً عنه في حكمها، ولضمان استمرار غياث الدين على كامل ولايته له قبض على بعض أقاربه ومنهم بعض أنسائه وأشقائه وأرسلهم إلى سمرقند كرهائن.

وقبل أن يعاد هرات استولى على كل الأموال الموجودة بخزينة الإمارة وكل الذهب والفضة كذلك، كما أخذ كل الأموال الشخصية لأميرها ولم يترك له إلا ما يحافظ على مظهره كأمير للمدينة.

وفي الطريق إلى خراسان قرر أن تكون بيئته منطقة خراسان الغربية التي أهلكت استسلامها، وكانت مدينة كيلات - اسمها الآن ماديرى - وقد هب تيemor حاكمها الأمير على بك نائماً له عليها ولم يحاول أن يسترح بجيوشه بها، بل استمر في التحرك حيث اتجه إلى مدينة طوس فأعلن أميرها على المؤيد خضوعه له، فاستمر تيemor في توغله داخل منطقة خراسان العربية، فاحتل مدينة أسمراتين والتي كان يحكمها الأمير شاه ولي الذي كان قد علم بمقدم جيوش تيemor فأرسل رسالة استعانة إلى حكام العراق وأذربيجان لتجديته، وأيضاً حكام فارس من المظفرين، ولسوء حظه فإن تيemor وصل إلى بلاده قبل أن يصله أى رد ممن استنجد بهم، لذلك أعلن دخوله في طاعة تيemor بمجرد أن وصل على رأس جيوشه أمام أسوار المدينة

استرح تيemor لك وجيوشه في أسمراتين واكتفى بما حققه من إنجازات كبيرة في وقت قصير وقرر أن يعود إلى سمرقند، وكان ذلك في منتصف عام ١٣٨١م.

بعد عودة تيمور إلى سمرقند اجتمع على بك وشاه ولي وقررا القيام بثورة ضد تيمور وبدأ في التحرك نحو تحقيق هذا الهدف، لكن عيون تيمور الخفية في كل من كبلات وأسرايين أرسلوا له بنية على بك وشاه ولي فخرج بجيشه في منتصف عام ١٣٨١ وانتهى إلى كبلات حيث حاصرهما، مما أجبر على بك على الاستسلام وطلب العفو من تيمور.

وبعد ذلك تحرك إلى أسرايين حيث أخذ يدمر كل ما يقابله من مدن وقرى قبل أن يصل إليها وكانت من نتيجة ذلك أن طلب شاه ولي العفو من تيمور، وأرسل له الكثير من الهدايا والأموال ليصفح عنه.

عد هذا الحد قرر تيمور أن يعود مرة أخرى إلى سمرقند لترتيب أوضاعه في هدوء، وأثناء مروره على مدينة هرات أمر رجاله بإلقاء القبض على حاكمها الأمير خيرات الدين، وكذلك إلقاء القبض على حاكم كبلات الأمير على بك، وذلك حتى يتم سجنهم في سمرقند، وقد وصل تيمور إلى سمرقند في أواخر عام ١٣٨٢م.

ومع مطلع عام ١٣٨٣ خرج مرة أخرى من سمرقند متوجهاً إلى أسرايين بغرض احتلالها وإلقاء القبض على شاه ولي، وقد عبر تيمور نهر أموداريا من أمام منطقة ترمذ وبعث ما حرج له، وبعد أن أتم مهنته وصلته أخبار قيام ثورة ضد في أراضي السيستان، فالتفت إليها ودخل في معركة مع حاكمها الذي تحصن داخل أسوار مدينته، فما كان من تيمور إلا أن اقتحم أسوارها وأخذ حاكمها الأمير قطب الدين أسيراً حيث حبسه بعد ذلك في أحد سجون سمرقند.

ونتيجة اقتحامه لأراضي السيستان أصبح مسيطراً على المنطقة بالكامل بدءاً من قندهار في الشمال الشرقي، وحتى ساحل عمان في الجنوب.

بعد أن اطمان على إخماد الثورة في السيستان عاد مرة أخرى إلى منطقة خراسان الغربية ليقتضى بالكامل على كل التابعين لشاه ولي، فالتفت إلى سرخس الواقعة شمال شرق هرات حيث وجد جيوش شاه ولي متحصنة بها.

لذلك دارت معارك عيفة شرسة بين الطرفين، لكن النصر في النهاية كان حليفاً
لشعور الذي استطاع بفضل هذا الانتصار أن يسطر عودته على مدن سرخس
وعشق آباد وطوس، وهكذا أصبحت حدوده العربية هي إيران التي يحكمها
الخلايفون الذين شنت شملهم في بلاد ما وراء النهر قبل عدة سنوات ويحكم
بعضاً من بلداتها المظفريون

وكعادته اكتفى تيمور بما حققه من انتصارات، وعاد بجيشه إلى سمرقند حتى
يشي له الحصون هو وجيشه على قسط مناسب من الراحة، وكان ذلك في أواخر
١٣٨٥ م.

ومع بدايات عام ١٣٨٧ م عبر بقواته نهر أموداريا وانتهى إلى حراسان، فمر بقواته
إلى مدينتي سارى وفيروزكوه حيث أعلن حاكما المدينتين استسلامهما له، وكان
العرض الأساسي من حملته هذه المرة هو الاستيلاء على مدينة لوريستان، لكنه
أشاع لكل من حوله وعلى طريق سيره أنه يريد تأديب مدينة خوند، وكان يهدف
من وراء إخماته لواءه أن تطمئن مدينة لوريستان ولا ترهقه أثناء دخوله إليها، نظراً
لأهميتها الاستراتيجية الكبيرة، حيث إن استيلاءه عليها سهل له عملية فتح منطقة
شمال غرب إيران والتي تحكمها قبيلة جلاتز، وأيضاً تسهل له عملية اقتحام مناطق
حرب غرب إيران التي يسطر آن مظفر سلطانهم عليها، ومن ثم فإن عرض نفوذه
على لوريستان يعنى اقترابه كثيراً من إحكام كامل سيطرته على إيران، ولذلك أخفى
بته الخفية إلى أن أصبح على مقربة منها فدخلها فجاء وقبض على حكامها
وأرسلهم إلى سجود سمرقند، وبعد ذلك دخل أراضي أذربيجان واستطاع أن
يسطر عودته على مدينة تبريز الواقعة في الشمال الغربي لإيران، حيث فشل أميرها
أحمد اخلاطري في الوقوف أمام هجوم جيش تيمور لئلا يكاسح وهرب من أرض
مركزة إلى العراق حتى لا يقع أسيراً في يدي تيمور لئلا .

السيطرة على الكرج

وبلاد الكرج هي جورجيا اليوم، وقد وصلها بعد أن اطمأن على إحكام سيطرته على تبريز، حيث تقدم بقواته وعبر نهر أراس - أراكس حالياً - وذلك أسوار مدينة بخشمان الواقعة على أراضي السهل المتاخمة للهر، وتعتبر مدينة بخشمان أول مدن الكرج أو جورجيا، وما أن سط سلطانه عليها حتى اتجه إلى منطقة الشمال الغربي، حيث احتل ملهتي تفليس وقرص، وقد استطاع رجاله الإيقاع بملك الكرج الملك قراط في الأسر، وكالمعادة تم إرساله إلى سمرقند، ولم يحاول بعد ذلك أن يأخذ قسماً من الراحة، وقرر أن يتجه بقواته إلى أذربيجان، وهي طريق وصره إليها مر على منطقة شروان ولم يكن حاكمها قد أعلن خضوعه له، فتوقف عندها لكنه لم يدخلها بالقوة بعد أن أعلن أميرها الشيخ إبراهيم ولاءه وطاعته لنيemor .

وأثناء معادته لمنطقة شروان وصلت إليه أخبار تؤكد دخول جيش توفتميش حاد معول الحماسة الذهبية على منطقة درند الواقعة تحت سلطة نيemor، وسادكر هذه الحركة بالتفصيل عند توصيح المواجهات التي تمت بين نيemor ونيك توفتميش من أجل السيطرة على أراضي روسيا.

إلى أرمينيا

كان لهجوم توتيمش على دريد أثر كبير في تغيير فكر تيمور لك إذ قرر بدلاً من الاستمرار في السير للوصول إلى أذربيجان أن يغير وجهته قاصداً أرمينيا من حدودها الشرقية، وكانت بعض قبائل الأتراك قد أحكموا سيطرتهم عليها وأطلقوا على ملكهم اسم (قرة قيولو) ومعناه العمة السوداء.

وكان الهدف الرئيسي لتيمور هو احتلال مدينة أونيك وهدم قلعتها الحصينة ثم ستمر في توغله عند حدود أروروم، وفي نفس التوقيت الذي كان تيمور يتوغل فيه في أراضي أرمينيا متجهاً إلى أروروم كان جيشاً آخر يفوده ابنه ميران شاه مهمته الأساسية صماد تشتت كل جيوش مملكة العمة السوداء والمعمل على إلقاء القبض على ملكها قره محمد نورش الذي ما أن رأى الحروب الذي حل بمملكته حتى هرب إلى الخيال يحمي بها حتى لا يقع في الأسر.

بعد ذلك ترك تيمور معززة أمامية قوية لقواته على الحدود مع أروروم، ونزل ساقى قواته إلى الحبوب لإحكام سيطرته على بحيرة وان ومدينة خلاد ومدينة مومش، وهذه الأماكن هي أكثر الأماكن حيوية في منطقة جنوب أرمينيا، ومن يسيطر عليها يحكم سيطرته على أرمينيا، وبالتالي كان من السهل عليه أن يدخل بعد ذلك إلى مدينة جيلان الواقعة على الساحل الجنوبي لبحر قزوين، ومن ثم يكون قد سيطر سيطرة تامة على كل أراضي أرمينيا من الشرق إلى الشمال الغربي وأخيراً الجنوب.

وكان يهدف من وراء ذلك إلى تكوين حائط صد دفاعي جيد يحول بين دخول قوات مغول الجماعة الذهبية التي تسيطر على مومكو وكيف إلى الأراضي التي تسيطر عليها قواته في أذربيجان ومنطقة بحر قزوين وحراسان وإيران التي كانت الثغرة القادمة له .

دخوله فارس

ثم تيمور لك إحكام سيطرته وفرص سلطانه على أرمينيا في منتصف عام ١٣٨٧م وكان مترددا بين إكمال مسيرته إلى فارس لإحكام سيطرته عليها وبين الرجوع إلى أذربيجان أو العودة إلى سمرقند

وكان أثناء فترة تردده قد أرسل برسول إلى زين العابدين الخلائقي من شأنه شجاع يخبره فيه بأن تيمور قادم إليه، فقام زين العابدين بإلقاء انشيص على رسول تيمور، فاعتبر تيمور أن تلك هي الثريمة المثلى للفصاء على حكام شمال غرب فارس من الخلائقيين، خاصة وأنه طبقا لاتفاق تم بين تيمور لك وشاه شجاع قبل وفاته يكون زين العابدين تحت وصاية تيمور لك

كمادته لم يصبح تلك الفرصة، وانهم من جيلان على بحر قزوين إلى فارس لتأديب زين العابدين، وكانت أول مدينة دخلها هي همدان ومنها اتجه إلى عاصمة فارس مدينة أصفهان .

وقبل أن يصل إلى أسوار المدينة قرر أن يعسكر جيشه أمامها، وكان يهدف من ذلك إلى أخذ جنوده قسما من الراحة، وفي نفس الوقت استكشاف البيت الهاليه لزين العابدين والقادة العسكريين لأصفهان.

قبل أن ينتهي حود تيمور لك من نصب حيامهم كان وفد رفيع المستوى يتكون من علماء الدين وكبار التجار قد وصلوا إلى حيمة تيمور حاملين معهم الهدايا الثمينة، وأخذوا يرجوه أن لا يدخل المدينة بحد السيف، وتأكيذا حسن بيتهم وصدق أقوالهم أخبروه أن أبواب مدينتهم مفتوحة على مصراعها، فأرسل تيمور

بعضاً من معارز جيشه الأمامية ودخلت المدينة دون قتال فقتل بعض من سادة أصفهان، ولكن مع حلول المساء اعتنق بعض الأهالي على جوده وقتلوا الكثير منهم فأمر، تيمور جيوشه بالرد على هذا الموقف، حيث اعتزله قمرًا على سلطته، ودخلت جيوشه إلى المدينة وحسمت الأمر بسرعة شديدة لصالحها.

وفي ذلك الوقت كان زين العابدين قد ترك أصفهان وهرب إلى شیراز للاختباء بابي همه الأمير شاه منصور حاكم شیراز، فالتجّه تيمور بقواته إلى شیراز، ووجد أن الأمير شاه منصور قد كبل بالأغلال ابن همه الأمير زين العابدين

لذلك لم يهاجم تيمور لك شیراز بعد ما قابله الأمير شاه منصور وأهله له خضوعه وولاءه، وكذلك فعل كل قادة جيوش المنطقة، فدخل تيمور لك شیراز دون قتال، وها هي قد أصبحت تحت سلطانه، وقد تم تقديم الهدايا الثمينة إلى تيمور لك وقادة جيوشه، وكان ذلك في أواخر عام ١٣٨٧ م .

وقد قرر تيمور أن يمكث فترة في شیراز ليحصل هو ورجاله على قسط من الراحة بعد التعب الكثير الذين هائسوا منه من كثرة الحروب التي حاصوها والبلاد التي فتحوها، لكن أثبت الرياح بما لا تشتهي السفن، إذ سرعان ما وصلت إلى تيمور أخبار عن بدء تحرك توقتميش بقواته متجهًا إلى بلاد ما وراء النهر

من هو توقتميش

توقتميش واحد من سل جوكير حان أول فاتح مغولي للعالم، والذي كانت حدود الأراضي التي استولى عليها تبدأ من الصين وحتى روسيا في أقصى شمال أوروبا ومن الهند إلى إيران، وبعد موته أحدثت تلك الإمبراطورية تسلاشي رويدا رويدا لأصاب عديده، مها تحولهم من وثنيهم إلى الديانة السودية والإسلامية،

- ١ - أن أرووس اعتمد أسلوب التهديد في طلبه لإرجاع توقيتش.
 - ٢ - أن تيمور عندما حقق من فتوحات سطت نفوذه على كل آسيا تقريبا وأصبح على مشارف أوروبا بعد وصوله إلى أصروروم كان يخشى من اقاربه مغول الهوردة الذهبية باعتبار أنهم الخطر الوحيد الذي يهدده
 - ٣ - التهديد من أرووس كان بالحرب على تيمور
- لذلك «ستمل تيمور بذلك هذا الموقف لصالحه، ورفض تسليم توقيتش لحدود أرووس، وكان يهدف من وراء ذلك الأذى.
- ١ - تعميق الحراج والمشاكل الداخلية لمعول الهوردة الذهبية
 - ٢ - وجرد توقيتش معه يعني أن له عبئا مستقبلية بين مغول الهوردة الذهبية
 - ٣ - يأمل بعد فتح أراضي الهوردة الذهبية أن يكون توقيتش هو نائبه في حكمها.
- ومجرد أن غادر متدرب الخان أرووس سمرقند أمر تيمور لك بتعيين توقيتش قائدا على قلعتين يقعان على الحدود الشمالية المواجهة لاجزاء هجرم قوات الهوردة الذهبية على أراضي الإمبراطورية التيمورية.
- كما جهز تيمور جيشا عهد يقادته إلى توقيتش بغرض مهاجمة البلاد الواقعة تحت سيطرة وسلطان معول الهوردة الذهبية، لكن توقيتش حجب آمال تيمور ولم يشت جدارته كقائد عسكري، إذ تعلبت عليه جيوش معول الهوردة الذهبية
- لكن تيمور لسك لم يسحب ثقته العسكرية من توقيتش بعد هذه الهزيمة، إذ أبعده بأنه عيه قائدا على حملة أخرى ستخرج لمهاجمة الهوردة الذهبية شمالا من سيرداريا، لكن للمرة الثانية فشل توقيتش في تحقيق الانتصار على بني جلده بل كد أن يقتل، وهرب من أرض المعركة واحتشأ في المراعى المجاورة للنهر حتى عثر عليه أحد صباط جيوش تيمور لك وتعرف عليه وأعادته إلى سمرقند

هجرة مات الخان أوروس، ومن ثم أصبح من حق توتميش اعتلاء عرش الخانية العلوية في روسيا وما جاورها من بلاد، خاصة وأن أكثر من نصف قبائل الهوردية الذهبية طالبوا بعودته

عندما وصلت تلك الأخبار إلى تيمور لنك سمح لتوتميش بالسفر إلى ساري ليهيخ خاناً على الهوردية الذهبية، وقد اعتقد تيمور لنك أن الأقدار تكافئه، فما هو توتميش قد أصبح خاناً ومن ثم فإن الهدوء والعلاقات الودية ستكون هي وسيلة التعاون بينه وبينهم .

خيبة أمل تيمور لنك

وصل توتميش إلى عاصمة بلاده، حيث استقر بها وأصبح هو الخان السيد المطاع على كل بلاد روسيا وبولندا، وأخذ يرتب لوصاح حمايته وكان ممسكاً بقوة ونسوة على كل خيوط السلطة بها بين يديه.

بعد فترة وجيزة من اعتلاله كرسى الخان وإدراكه أنه قد أصبح مسيطراً بشكل كلى على الأمور في الخانية فاجأ كل من وحوله بأنه قرر أن يشن هجوماً على سمرقند والعمل على القضاء على سلطة تيمور لنك على بلاد ما وراء النهر وكل البلاد الأخرى التي وضعها تحت سلطانه ونفوذه، وعندما أعلن يته للمغربين أنه أجمعوا جميعاً على رفضهم لما يفكر فيه توتميش، وكانت أهم الأسباب التي دعتهم إلى الرفض هي:

١ - أن تيمور لنك صاحب فضل عليه على توتميش - عندما آواه وقت فراره من ساري.

٢ - أن تيمور لنك يسر له السبل لإحكام قبضته على حياته الجديدة

٣ - أن تيمور لك يملك من القوة الاقتصادية والعسكرية ما يجعله أن يكون أكثر من ند لحاية روسيا، وقد تصل قوته إلى درجة هزيمة تلك الحثاية ومن ثم صياح استقلالها، إذ عند سقرطها في يده ستكون حاصعة لغود تيمور لك وسلطته.

٤ - يجب على توقيتش أن يوطد علاقات المحبة والتعاون مع تيمور لك حتى ينسى لتوقيتش التوغل في كل أراضي أوروبا ومن ثم سيطرته عليها خاصة في طل بروخ للدولة العثمانية في الأناضول والتي أوصحت عن نيانتها في مهاجمة شرق أوروبا، وبالتالي فإنه في حالة نجاحها فيها ترمى إليه غايتها ستكون شوكة تقلق مضايح الحثاية في روسيا وبولندا.

يسمى أصغر توقيتش على رايه للأسياب التالية:

١ - أن حايته والتي تسيطر نفوذها على أراضي روسيا وبولندا تحتاج إلى مورد اقتصادي دائم يوسعها من الجليل الذي يغطي أغلب أراضيها أغلب فترات العام

٢ - أنه - توقيتش - شاهد بنفسه مدى هنى صغرته في الفترة التي قضاهها هناك كلاجئ

٣ - أن تيمور لك قد توسع بحلوله إمبراطوريته باتجاه جنوب غرب آسيا وأصبحت حاية الشمال العربي منها حيث أصبح على مرمى البصر من بغداد، ومن ثم الشام من بعدها

٤ - أن تيمور لك له أطماع في حاية الهوردية الذهبية، وهو ما دفعه لإرسال جيش بقيادة توقيتش لمهاجمة الأراضي الواقعة تحت نفوذ حاية الهوردية الذهبية - وهي تلك المعارك التي فشل توقيتش في تحقيق أي نجاحات بها نظرا لعدم كفاءته العسكرية .

٥ - أن تيمور لك يسيطر نفوذه على مدينة أوركس، وقد كانت قديما من ضمن ممتلكات حاية الهوردية الذهبية.

٦ - أن تيمور ليس من أبناء جنكيز خان من زوجته الأولى بينما توقتميش يعود نسب إلى أحد أبناء جنكيز من زوجته الأولى، ومن ثم فإنه طبقاً لتقاليد المغول فإن تيمور لك وإمبراطوريته يجب أن تكون تابعة لتعود وسلطة خاتبة المهوردة الذهبية، وبالتالي يجب خضوعه لتحقيق قواعد جنكيز خان في تعاملات المغول مع بعضهم البعض .

عندئذ انتهى حديثه وقد فهم كل من حوله أنه لا أمل في إقناعه عن العدول عما يدور في رأسه، وهكذا بدأت سلسلة الاستعدادات لشن هجوم على تيمور لك في معسكر توقتميش.

وبينما تيمور لك يجلس مسترخياً على كرسي حكمه في سمرقند بعد أن هزم غارس وجورجيا وأرمينيا إلى سلطته، واستطاع أن يقضى على كل الفتن والثورات التي حاول أصحابها القيام بها وهي في مهدها وصل إليه عدة رسل من مفارزه العسكرية المراقبة على الشواطئ الشمالية والغربية لبحر قزوين تحبسه أن توقتميش أصبح على مقربة من نهر سيرداريا على رأس جيش كبير، وأنه يستعد لعموره لتدخل في أراضي الإمبراطورية التيمورية.

أصدر تيمور أمراً فوراً لقواته العسكرية الصارية بالتحرك بأقصى سرعة إلى سرداريا، وأمرهم بإجهاض هجوم توقتميش والعمل على هزيمة قواته بصرورة أسر توقتميش، وتحرك الجيش وبعدها بأقل من ساعتين أو ثلاثة كان تيمور خارجاً على رأس أقوى فرسته وأحد يسرع الخطى حتى لحق بجيشه وقاده إلى مكان المعركة.

وكان توقتميش وجنوده قد نجحوا في عبور نهر سرداريا بنجاح واستطاع أن يقتحم القلعة المكلفة بحماية السهول المتاحة للنهر، واستمر في رجه متوغلاً في أراضي إمبراطورية تيمور، واستطاعت بعض الفلاح والحصون التي قائلها في طريقه

مقاومته مسؤومة ماسلة وأحق بجيوشه غنائم يسما لم تستطع بعض الملاح المقاتمه حيث تم اقتحامها وإلحاق الهزيمة السريعه بها، لو أن بعضا ما أعلن استسلامه لقوات توتنميش .

وقد شعر توتنميش بأن حلمه بالسيطرة على إمبراطورية تيمور لك على وشك التحقق، خاصة أنه قد أصبح على عدة مراحل من العاصمة سمرقند وفى أثناء استعاش توتنميش بأمال النصر الذى يرى بوادره على الأرض ظهر تيمور لك وجيوشه فى أرض المعركة مما أربك كل حسابات توتنميش الذى ظن أنه قد فاجأ تيمور .

ونتيجة لتدخل تيمور وجيوشه فى المعركة أمر توتنميش جوده بالانسحاب بسرعة وصور بهر سرداريا، وأثناء انسحاب جيوش توتنميش استمرت جيوش تيمور فى ملاحقتها واستطاعت أن تكبدها خسائر كبيرة

وقد حدث أمر رده من سوء حالة تيمور هو محاولة بعض الأمراء التناهي له استغلال هجوم توتنميش فى إهلال راية العصيان عليه - على تيمور - وكان أبرز مثال لهذا أن صوى التناهي لتيمور فى أوركنج، كما شقت عصا الطاعة على تيمور بعض القبائل الصغرى

وعلى الرغم من كل ذلك فإن تيمور ركز كل جهوده وجهوده الرئيسى نحو جيوش توتنميش حتى اطمان تماما إلى انسحابهم من أراضيهم، وفى نفس الوقت قد مرصو، فالحائز الكبيره، فرجع إلى سمرقند وأمر باستدعاء كل قادة الحصون والقلاع التى هاجمها توتنميش وكذلك استدعاء كل من حاول استغلال الموقف العصيب الذى مر به وأعلن العصيان عليه، حيث عاقب بالقتل كل من مر من الفداء من أرض المعركة، وأصدق على المعجدين من القادة الذين قاوموا توتنميش بالهدايا والأموال والترقيات.

مهاجمة توقيتيش

بمجرد أن انتهى تيمور من محاصرة قادة جيشه المقصرين أمر الجيش بالنأهب للحركة مرة أخرى إلى سيرداريا رغم أن الوقت قد أصبح شتاء والحر أصبح قارص البرودة، وقد حاول بعض معاونيه إقناعه عن قراره بحجة أنه لا حروب في الشتاء، فصحك تيمور لما سمعه منهم وأخبرهم أن الشماليين يتعرضون لموجات برد في بلادهم أقسى من ذلك بكثير، وبالتالي فإن الشتاء الذي يتعرضون له حول سهول نهر سيرداريا الشمالية نجملهم يشعرون كما لو كانوا في بدايات فصل الخريف.

وعلى الناحية الأخرى فإن توقيتيش كان قد بنى كل حائطه طبقاً لما فكر فيه المقربون من تيمور، لذلك وقف على الجانب الشمالي من سهول نهر سرداريا يلحظ جراحه ويمسح جندوده الراحلة اللازمة التي نجملهم قادريين على عبور النهر مرة أخرى من أجل بسط نفوذهم على أراضي تيمور.

وفي مساء ذلك كان تيمور يتحرك بقواته بسرعة نحو الشمال متحمداً قوة البرد ووعورة الطريق وقلة الغذاء، وعندما اقتربوا من السهول الجنوبية لمسه رزغ تيمور حيوشه وأمرهم بتدمير أية عازر أمامية لجيش توقيتيش يجذبونها أمامهم.

بعد الحود أواخر تيمور وهاجموا كل القارر الأمامية لجيوش الهوردية الذهبية وألحقوا بها خسائر كبيرة، مما جعلهم ينسحبون إلى الضفة الشمالية للنهر.

عندئذ أمر تيمور بعض مفارزه بالعبور من أساكن متفرقة والافتراق من مؤخره جيشه على أن يكون تحركهم فجائياً وسرياً، وأن يكون هجومهم بأقصى درجات الشراسة الممكنة.

وعندما بدأت المقاترة الامامية لجيوش تيمور فى تنفيذ مهامها بكفاءة استطاعت أن تلحق خسائر كبيرة بجيوش توقيتش الذى ظن أن تيمور يش عليه هجومه الكبير، فاصدر أمرا فوريا لقواته بالانسحاب واستمرت مقاترة جيش تيمور تلاحقها وهي تنهش فى مؤخرتها

عاد بعد ذلك تيمور وقواته إلى سمرقند بعد أن اطمان تماما إلى الانسحاب التام لتوقيتش، كما أن أيام الشتاء قد توغلت وأصبح الثلج يغطى كل أراضي الشمال، فالتفتع تيمور باستحالة أن يقوم توقيتش بمهاجمته.

استمر تيمور أيام فصل الشتاء فى تدريب جيوشه وتجهيزهم، ومع نهايات فصل الشتاء بدأ فى التحرك نحو الغرب حيث قرر أن يفتح بلاد آل صوفى وعاصمتهم اوركتج بالقوة، وأخذ مها الأسلاب الكثيرة بعد نجاحه فى تدميرها وتعيينه لأحد أتباعه حاكما عليها، وسلك الطريق الشرقى بعد ذلك حيث أدت كل القبائل التى حاولت المصيان عليه وطردها من السهول، ولم يتركها إلا ومن بنى مهم قد هام على وجهه فى الجبال وكان ذلك فى عام ١٣٨٩م

وبعد نجاحه فى تلك الحملة العسكرية اطمان تماما على سلامة موقعه الداخلى وأصبح كل تركيزه منصبا حول توقيتش.

تيمور فى عقر توقيتش

أوقف تيمور تلك فراحاته فى إيران نظرا لإحساسه الشديد بالخطر من توقيتش، لذلك قرر أن يكون شاطئه الأول هو تأمين الحدود الشمالية الغربية للإمبراطوريته خاصة أنه وجد أن تأديب توقيتش وإحصاعه لعوده هذا هو وقته بعد أن استطاع تشريد معول الجبلات - الحعطائين - بالإضافة إلى سيطرته التامة على الموقف فى كل بلاد آسيا الوسطى وأيضا الجنوب الغربى منها.

لذلك قرر أن يعمل ما لا يمكن أن يخطر ببال توقيتش وهو أن تتوغل قواته -
تيمور - في أراضي توقيتش.

وقد بنى تيمور لنك رايه هذا بناء على استراتيجية حددها لنفسه وهي تكون
من.

- ١ - أن لا يسمح لنفسه أن يكون في موضع الدفاع أمام توقيتش، نظراً لأن
توقيتش يعتمد على الفرسان في حربه باعتبارهم القوة الضاربة له
- ٢ - أن يعمل على أن يكون هجومه سريعاً ومفاجئاً
- ٣ - أن يتواجد دائماً في المكان الصحيح وفي الوقت الصحيح.

وبناء على هذه الأفكار خرج بجيشه ليلاقى توقيتش وجيوش الهوردة الذهبية
في عقر درهم، وكان إجمالي جيشه حوالي ١٠ آلاف جندي أغلبهم من الفرسان
والباقى لإلحاق أعمال الشئون الإدارية التي تخص متطلبات واحتياجات الجيش
وأثناء قيادته للجيش في حركته نحو ساري مرض بالحمى لدرجة أن المقرين منه
خشوا أن يكون هذا المرض هو مرضه الأخير لكنه تعافى من مرضه بعد حوالي
شهر ونصف الشهر، وقد اختار أن يصل إلى عقر دار توقيتش من خلال عبوره
سلسلة الجبال الوعرة التي تسمى جبال قرة داغ، وقد هطلت الثلوج بمرارة على
جيوش تيمور مما أجبرها على الوقوف وعدم استكمال المسير انتظاراً ل حلول ربيع عام
١٣٩١ الذي ما إن حل على المنطقة حتى بدأ تيمور في الحركة من جديد

وقد رصدت تحركاته المفارر الأمامية وعيون توقيتش فأرسل مندوباً به إلى
تيمور لنك وهو حامل له الهدايا وخطاباً يطلب فيه منه أن لا يستمر في مهاجمته
وأنه يعمل اسمه واعتذاره عما حاوله من اقتحام لعاصمته سمرقند

تعامل تيمور مع المندوب باحترام لكنه أتعذ معزى الرسالة من منطلق أنها محاولة
من توقيتش لكسب الوقت لمعاداة مهاجمته، وعد وداعه لمندوب توقيتش أحمره

أن على توقتشيش أن يرسل بكسير ووزاته على بك لإعلاء إحرامات الصلح وقد
دلت فإن توقتشيش سيحل من على حانية الهوردة الذهبية بعد أن تشتت شمل
جوده جود تيمور .

سار تيمور لمدة ستة أسابيع بجيشه في هذه الطرق الحرداء إلى أن استطاع
الوصول إلى حوص بهر ساري، وهذا يعني أنه أصبح يصير قصر الحساد، وقد
استل تيمور وصوله إلى هذه الأراضي السهلة بما تضمنه من أشجار وخيرات في
إراحة حيوله وجود من عاء السفر الطويل الشاق بين محرات الجبال الحرداء

ترك تيمور جيشه لحياة الراحة واللعب لمدة يوم واحد فقط بعد وصولهم إلى
حوص بهر ساري، ومع مطلع فجر اليوم الثاني أصدر أوامره لقادة الجيش بعمل
طابور اصطفت للقوات، وبمجرد أن اصطفت القوات قام تيمور باستعراضها على
صوت الموسيقى العسكرية، ومع نهاية استعراضه لقواته أمر بأن تتوزع على هيئة
تشكيلات، وطلب من كل قائد كتيبة أن يعطى تمام استعداداته لقائد لوائه، وقادة
الالوية يعطون تمام الترتيب لقادة الفرق، وقادة الفرق إلى قادة الحشوش، وقادة
الحشوش إلى القائد العام للجيش، وفي النهاية وقف قائد هام الجيش وأعطى تمام
الحشوش لتيمور لئذ . فأمر براحة الجيش، فالتصرفت القوات بملهو أمراده مع
بعضهم البعض

ها هو تيمور قد اطمأن على استعدادات جيشه وكيف أن روح مقاتليه المعوية
عالية في هناك السمدة خاصة مع رؤيتهم لأموار ساري أمامهم، وكانت سعادة
تيمور لئذ غامرة لأنه وطأ بجيشه على أراضي أوروبا بعد أن أحكم سيطرته
بالكامل تقريبا على آسيا ولم يبق أمامه إلا أن يسطر سلطانه عليها

الاقتراب من خط المواجهة

كانت منطقة السهل الناعم لغرض نهر ساريا حالية تماما من أي سكان، وحتى يبدأ تيمور في التحرك اختار مقدمتين للجيش، منح قيادة الأولى منهما إلى ابنه عمر، ومهمته الأساسية هي التوصل إلى مكان تركز جيوش توقيتش، وقد بلغت القوات التي قادها عمر بن تيمور عشرين ألف مقاتل وكانت المقدمة الأخرى مهمتها الانضمام للمقدمة الأولى لتجديتها والوقوف في وجه جيوش توقيتش بعد أن يعثر عليه عمر بن تيمور .

تحرك عمر بن تيمور بقواته حتى وصل إلى منابع نهر توبول مغبر من الضفة الشرقية له، حيث كان يتحرك إلى الضفة الغربية، حيث عثر على ست موائد للئار لم تكن ييرانها قد حصدت وبالتالي كان هذا أول دليل على وجود قوات من اليهودة الذهبية، وتم إرسال هذا الخبر إلى تيمور، وبمجرد وصول هذه المعلومة إلى تيمور أرسل عددا من أمهر قصاصي الئار للانضمام للقوة التي يقودها عمر، ثم أمر جيوشه بالتحرك البطيء إلى منابع نهر توبول، وكان يهدف من وراء ذلك أن تكون تحركات الجيش محسوبة بدقة خشية أن يتعرضوا لهجوم مباغت من قوات اليهودة الذهبية.

لم تخف أكثر من ثمانية وأربعين ساعة حتى وصلت أخبار طيبة لتيمور إذ بدعه أن قصاصي الئار اكتشفوا آثار أكثر من سبعين موقدا للئار، وأن هناك آثارا لمور كثير من الخيل.

في الحال أصدر تيمور أوامره لبعض من أكفأ وأجراً أمراته المشهور صهم القيام بأعمال خسارة في ميادين القتال للذهاب إلى مكان تلك الموائد والمحل على

وأثناء سير قوات تيمور لتلك الشبكوا مع أحد القفار الأمامية لتوقتميش واستطاعوا أن يحسموا الأمر لصالحهم، وأسرروا أغلب أسرارها حيث تم استجوابهم، وقد أقر رجال الهوردة الذهبية أن خطة توقتميش تقوم على استدراج تيمور للتدخل في أراضي روميا إلى أن يتال منه التعب فيبقى عليه توقتميش، وأخبروا تيمور كذلك أن توقتميش ليس بعيدا عنه، إذ يبعد عنه مسافة سير يوم واحد تقريبا.

ونظرا لخطورة وأهمية تلك المعلومات أمر تيمور رجاله بحفر حندق كبير حول مكان مركزهم، وكشف من دوريات الحراسة ليلا، وفي نفس الوقت أمر ابنه عمر بالخروج في معرزة كبيرة للوصول إلى مكان تمركز قوات توقتميش، لكن مع الحذر وتجنب الدخول في مواجهة عسكرية معهم.

مع بزوغ فجر اليوم التالي تحرك عمر تنكيلا لأمر تيمور، وفي نفس الوقت أمر تيمور بحرج كئابل تعمل على تشتيت الانتظة للحديقة بهم للتأكد من حلوها من رجال توقتميش، وقد فرح جدا عندما أخبرته تلك الكئابل بعدم وجود معارز لتوقتميش، حيث إن هذا معناه صدق قول رجال المقررة التي تم أسرها، وبعد ذلك وقبل حين مساء تلك الليلة كانت رسائل ابنه قد وصلت له لتخبره أنهم أصبحوا على خط تماس مع مؤجرة جيوش الهوردة الذهبية.

أمام هذا السيل المتدفق من الأحداث الخطيرة لم يكن أمام تيمور إلا عقد اجتماع لكل قادة وأمرأه الحيووش حيث أخبرهم أنه قرر التحرك مع أول ضوء يظهر للنهار احتشد ليتحتم مع المقررة المتقدمة التي يقودها ابنه عمر.

مع الفجر تحرك تيمور بنفسه، ولم يمض وقت طويل حتى كان قد لحق بمعرزته الأمامية وأصبحت مؤجرة جيش الهوردة الذهبية في مجال حركته، وفي تلك اللحظة شعر تيمور أن النصر حليفه، إذ إن توقتميش اتعدت أمامه أي مجالات

لفعل أى مناورة تكتيكية يمكن أن يفاجئ بها تيمور، كما أن وجوده على نفس خط المسير أمام تيمور حتم عليه - أى توقتميش - أن يواجه للمصائب من الحيريات المتوحشة التى خرجت لثو من يياتها الشترى

وفى ظل هذه الأفرار الداخلية التى كان يعيشها تيمور عكر صفو مزاجه أحوار مقتل ثلاثة من كبار ضباطه مع جنودهم فى كمين مصبت لهم قوة من الهورد الذهبية، إلا أنه لم يجعل هذا الخبر سببا فى تغيير خطط أمن قواته، لأنه مغال من ماتو، من عنده استطاعت قواته أن تقتل المئات من جنود وصباط توقتميش.

فجاء لاحظ تيمور أن قوات المؤخرة للهورد الذهبية قد أسرعت خطاها فلم يحاول أن يجارها فى مسرعتها طالما بقيت تحت مرمى بصره، ثم وجد أنها توقفت فأدرك أن هذا المكان هو الذى ستدور على أرضه المعركة المرتبة والثى فى سبيلها ترك - تيمور - طموحاته فى فارس والعراق والشام، بينما توقتميش يرغب فى تلك المواجهة لأن معنى انتصاره فيها أنه قد ورث كل إمبراطورية تيمور.

الاستعداد بالتشكيل الهجومى

أمر تيمور رجاله بأن يتوقعوا من المسير وأن يحافظوا على أوضاعهم وتشكيلاتهم أثناء فترات راحتهم، وذلك بدأ رجال الشؤون الإدارية يصبون الخيام لفرسان المحاربين وجزء منهم بدأ فى إعداد وجبة طعام ساجنة.

وقبل أن ينتهى الفرسان من تناول طعامهم كان عمر بن تيمور يميز الطريق من طريق نهر سوك ومعه عشرون ألف فارس، وذلك للالتفاف حول قوات توقتميش، وقد قابل عمر أثناء مناوذته للوصول إلى مؤخرة الجيش العنيد من المقارر الأمامية

واجانبية التي وضعها توقمشى في تلك الأماكن لإعاقة أي هجوم على جوارب جيشه من جانب تيمور، وقد تعامل عمر بكل كفاءة مع هذه المظار واستطاع أن يقضى عليها، بن وأسر بعضاً من أفرادها فلم يمتهم أن هناك قوات أخرى قادمة من القوقاز في طريقها للانضمام لقوات توقمشى والتي كان يقدر عددها فعليا بحوالي ٢٠ ألف فارس، أي أن قوات توقمشى ضعف عدد قوات تيمور ذلك.

ولم أن يحل المساء كان عمر قد عاد إلى معسكره حاملا تلك الأخبار، فاستدعى تيمور كبار القادة والأواسط منهم ليقيم بتلقينهم آخر الأوامر، وفي نفس الوقت أمر كل الجنود والعرضان باليوم وفي نفس الوقت تحري كتابات الحراسة بدقة واليقظة

استمر اجتماع تيمور بقبادات جيشه لمدة ساعة واحدة أخبرهم فيها أن غيابه الثقبية ستكون في الليلة، وأن عليها يقع عبء بداية المناورة العملية على أرض المعارك، بينما تبقى مسيرة الجيش في حالة سكون حتى تصبح صورة المعارك التي تحرسها ميمة الجيش، وأنه سيكون كالمعادة على رأس قلب الجيش، ويخلف ليمية تمرکز القوات الاحتياطية الجاهزة للتدخل في أرض المعركة لصد أي ثورة تكون قد حدثت في القوات الأمامية .

وفي هذا الاجتماع سمي قادة أجنحة الجيش حيث منح قيادة اليمية لأبيه ميران شاه، ويساعده في القيادة الأمير سيف الدين بهادر، ويقود المسيرة ابنه عمر شيخ، وكان القلب تحت القيادة الاسمية لحفيده سلطان محمد، وأمر تيمور نفسه القيادة الخالصة للقوات الاحتياطية بالإضافة إلى الإشراف على قيادة قلب الجيش.

وبمجرد أن انتهى من التلقين أمر كل هؤلاء القادة ومساعديهم بالنوم في حيمته سنا ظل هو حالاً على كرسىه يعمو قليلا ليصحو من جديد

وعلى الجهة المقابلة كان توقمشيش يفعل تفريرا نفس ما يصعله تيمور لئلا حتى أن تشكيله الهجومى للقتال يكاد يكون متطابقا مع التشكيل القتالى لقوات تيمور، الفرق الوحيد بينهما أن توقمشيش لم يكابد نعب السمر كيمور ورجاله، بالإضافة إلى أنه يحارب على الأرض التى ترمى عليها وفى وسط البيشة التى عاش فيها، بالإضافة إلى أن عدد قواته ضعف عدد قوات تيمور.

الأمر بالقتال

قبل طلوع الفجر كان قائد كل جيش يقوم بإجراءات التمام النهائية لقواته قبل أن يعطيها إشارة البدء بالهجوم حيث اصطفت قوات كل طرف طبقا للتنظيم المتفق عليه.

ومع بزوغ أول ضوء مع مطلع الفجر بدأت مينة تيمور فى أداء ما هو مطلوب منها حيث اندفع الأمير سيف الدين بالنهائى مسرة توقمشيش، واستطاع فى هجومه أن يفتح بها الأذى والدعارة، مما دفع قائدتها إلى خلق عرض الجبهة التى يدافع عنها، وبالتالى بدأ يحدث تداخل بين القوات، ولم يمض وقت طويل حتى كان ميران شاه ابن تيمور قد التصق بقوات سيف الدين مما أثر على قدرة ميسرة توقمشيش، يس على الهجوم بل على قدرتها على الاستمرار فى الوقوف على الأرض التى تقف عليها، لذا بدأت فى التراجع والتقهقر، وهذا ما دفع تيمور للقيام بمناورة تكتيكية رائعة، إذ قرر أن يدفع بقلب جيشه ليساند ميسرته حتى يكون التقهقر التام لقوات الميسرة لجيش توقمشيش.

وقد حاول توقمشيش إنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكن لما رأى تدخل قوات القلب فتييمور غير توقمشيش من تكتيكه، وقرر أن يهاجم بكل شراسة ميسرة جيوش تيمور، وحقق توقمشيش بعض النجاح نظرا لتقهقر ميسرة تيمور للخلف فاندفع توقمشيش بجنود قلب جيشه متوغلا فى المسافة الفاصلة بين قوات القلب والميسرة للجيش التيمورى.

في تلك اللحظة أصدر تيمور الحخير أوامره لغواته الاحتياطية بالهجوم على قبة توقمشي، وإن تقوم مسيرة الجيش التي كانت قد تراجعت بعملية التفاف حول قلب وميمة توقمشي، وبذلك أصبح توقمشي في وضع سيء للغاية، خاصة بعد ما رأى اندفاع كتبة من الفاتلين الأشداء تسجحه نحو حملة أعلامه، وقدرتهم على قتل حاملها .

أصاب الدعر والخوف توقمشي، حيث أصبح قاب قوسين أو أدنى من القتل أو الأسر، فآثر أن يسحب من أرض المعركة، ولما انتشر الحرج وسط جوده الدين كانوا في وضع سيء حاول البعض منهم الهرب من أرض المعركة لينجو بنفسه فيما استسلم البعض الآخر.

لم يسكت تيمور بعد تأكده من الانتصار، بل أمر رجاله بمطاردة ملوك الهاريين، وكان يهدف من وراء ذلك أن يجد توقمشي محبثاً في أحد الكهوف أو الغابات أو التراب، لكنه لم يجده، فأعلى وقف العمليات العسكرية.

بمجرد صدور هذا القرار منه أصبح للجهود الرئيسية لجوده هو القيام بعمليات السلب والنهب للمعسكرات الحربية للهوردة الذهبية، وأيضاً سلب ونهب مواشي وأهتام السكان.

في تلك اللحظة بدأ تيمور يتعامل مع بلاد الهوردة الذهبية باعتبارها أحد البلاد الخاضعة لشعوره وسلطانه، لذلك بدأ في إصدار الكثير من القرارات التي نهى سائر الأعمال بها من كافة النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية والتجارية والمالية، وكان ذلك في عام ١٣٩١م.

لم يحض وقت طويل على وضعه التنظيمات الجديدة لبلاد الهوردة الذهبية حتى قرر الرجوع إلى سمرقند ليتابع أحوال إمبراطوريته، وما حدث فيها طوال فترة غيابه وأيضاً ليكون قريباً من حلمه وهو الاستيلاء على ما بقى من أراضي إيران.

إلى إيران

بعدما أنهى تيمور أحداثه في بلاد اليهودية الذهبية رجع إلى سمرقند عاصمته الحبية ليتال هو ورجاله قسماً من الراحة بعد المجهود الشاق الذي مدّوه في حرب اليهودية، المهيم في الأمر أن تيمور لم يركن إلى الراحة في سمرقند، بل أخذ في تنصيص أحوال البلاد وما جرى بها أثناء فترة عياده، ثم أمر رجاله بأن يضعوا الجيش في وضع الاستعداد للحركة بعد انقضاء شتاء ١٣٩١ وحلول ربيع ١٣٩٢ م.

مع بدايات تحسّن الجو وميله إلى الدفء بدأ تحرك تيمور من سمرقند بغية القضاء على أي مظهر للدين يحكمون إيران العربية، وقبل اندفاعه إليها توقف بعض الوقت للقضاء على طائفة دنية ظهرت على الحدود الشمالية لإيران، وكان اسم هذه الطائفة الطائفة الخروفيّة وهي طائفة صوفية كانت نادى بأن الأصل في معرفة الله هو الخلع، وكان مؤسس هذه العقيدة هو فضل الله الخروفي، والذي دعى تيمور للقضاء على حركته وعلمه هو شخصياً أن الخروفي ادعى أنه خليفة الله على الأرض، وفي سبيل نشر أفكاره كتب ثلاثة كتب، وبطبيعة الحال عزل الخروفي ورجاله من الأنواع لم يمثلوا عائقاً يذكر أمام تيمور أثناء قصاته عليهم، وتابع سيره لأصفهان وشيراز.

وكان شاه منصور الذي هرب من تيمور أثناء حملته الأولى على إيران واحتشاً للحال حتى لا يقع في الأسر في يد قوات تيمور مجده قد استعمل إشغال تيمور الطويل في حرب اليهودية حيث حرج من مكنته وبدأ رويداً رويداً في استمالة أعصاب الأسرة المظفرية، وأحد بنير حماسهم، فانضم له عدد من أمراء تلك الأسرة وأصبحوا تابعين له

وحتى يثبت لهم جديته وقدرته على الوقوف في وجه تيمور فإنه قام باعتقال ابن عمه زين العابدين الموالى لتيمور في حكم أصفهان، وبعد ذلك قام برصع كل أملاك الأسرة الممتدة إلى مدينة شیراز ومدينة أبرقوه تحت سيطرته، لكن زين العابدين بمساعدة بعض من أتباعه استطاع الهروب من السجن وحاول استرجاع ملكه الذي سلبه شاه منصور، فحاص معركة صد قوات شاه، لكنه لم يستطع أن يحسمها لصالحه، بل انتهت بوقوعه في الأسر، وكان أول شيء قام به شاه هو أن فُصل عيبه ووضع في السجن تحت الحراسة المشددة، وقد اتخذ شاه منصور من مدينة شیراز عاصمة له، واستمر حاكماً باسطاً نفوذه على تلك المدن من عام ١٣٨٨ إلى أن دهمته قوات تيمور في عام ١٣٩٢م

وقد بدأ تيمور بدخول شیراز بعد أن هدم أسوار قلعة سفيد القوية، وكان أول عمل قام به رجال تيمور هو تحرير زين العابدين من سجنه، وكان شاه منصور قد هرب من شیراز في نفس لحظة اقتحام رجال تيمور لقلعتها الحصينة، وهرب بأعلى قوته إلى مدينة هاستان وهي على مسيرة يوم واحد من شیراز.

عندما علم تيمور بذلك انه خلع قوات شاه منصور بأقصى سرعة ممكنة، ربيما حيوش تيمور تتوقف أمام هاستان وكان الليل قد حل على المنطقة إذ بجيوش شاه منصور تقاضئها بهجوم قوى مركز استهدف مركز قيادة الجيش وهو في نفس الوقت مقر إقامة تيمور، وقد تعرض تيمور لخطر شديد كاد أن يفتك به ويودي بحياته لولا أن شاه رخ بن تيمور استطاع أن يضرب عتق شاه منصور من الخلف بالسيف ففصلها عن جسده، فحدث اضطراب في جيش شاه منصور وبدأ في الانسحاب إلى شیراز، ولم يستطع الجيش التيمورى ملاحقة جيود شاه منصور نظراً للاضطراب الشديد الذي عاينوه منه نتيجة معاجاة شاه منصور وجنوده لهم

مع أول ضوء للشمس تحرك تيمور باتجاه شيراز، فوجد أبواب المدينة مغلقة، فصرب الحصار حولها، ولما رأى أهلها الحجم الهائل لقوات تيمور وفي نفس الوقت كانوا قد علموا بمقتل شاه منصور، لذا أثروا الاستسلام حيث خرج وفد من عظماء الأهالي وانكبوا إلى مقر إقامة تيمور حيث مسحوا الهدايا وأعلنوا أمامه رضاهم عنه وعن أي حاكم يعينه على المدينة، فدخل تيمور المدينة وكان أول قرار أصدره بعد دخولها هو مصادرة كل أملاك وأموال شاه منصور، وقبل حلول الماء كان أغلب أمرائه آل مظفر قد وصلوا إلى مقر إقامة تيمور وأعلنوا خضوعهم له وأقسموا له يمين الولاء .

أقام تيمور في شيراز للاستجمام ومن ناحية أخرى لترتيب أوضاع إيران التي أصبحت كلية تقريباً تحت يده . وأثناء وجوده في شيراز قرر أن يتجه ناحية العرب لاجتياح بغداد ليكون بالقرب من الشام ليصل إلى حلمه الكبير مصر .

وبما يفكر فيما هو آت زادت شكوى علماء الدين وأفراد الشعب من المدارس القمعية التي كان الولاة من أمراء آل مظفر يمارسونها ضدهم، فما كان من تيمور إلا أن اتخذ القرار الذي كان يعلم به وهو التخلص من كل آل مظفر، فأمر باعتقال كل أفراد العائلة حتى من أعلن لهم وللاء له، وبعد حصة أيام من اعتقالهم أمر بقطع رقابهم جميعاً، وأصدر أمراً بمصادرة كل الأملاك لتلك العائلة المكونة وعين حاكماً على إيران من أتباعه، وغادر شيراز إلى همدان للاستمتاع بمنحها الخميّل ومروجها الخضراء، ومن هناك أرسل بعض المقارن من جيشه للفحص على بعض عصابات قطاع الطرق التي كانت تلبس التجار والمسافرين في بلاد الكرخ - جورجيا والتركمان في الطرق الحليّة، ومنح باقي أمرائه جيشه راحة سلبية استمداداً لدخول بغداد .

إلى بغداد:

كان من الطبيعي أن ينتج تيمور إلى بغداد، وأن يعمل على دخولها مرة أخرى لما كانت تسببه له من مشاكل جمّة عن طريق المخططات التي كان يقوم بها حاكمها أحمد بن أوس الذي كانت كل مخططاته تهدف إلى إجهاد أمام تيمور في وسط نغورده على كل مناطق وسط آسيا وروسيا في أقصى الشمال، وأيضاً رعبه في نزاع ملك آل عثمان من الأناضول وأوروبا.

ومن وجهة نظر تيمور فإن أحمد بن أوس كان يشكل خطراً دائماً عليه نظراً لأنه رأس الحرية التي حاول إهداء تيمور أن يطمسها بها، لذلك نجد أن توقميش عندما حاول غزو بلاد تيمور في عام ١٣٨٧م حاول التحالف مع أحمد بن أوس، وحتى يزيد توقميش جدته في هذا التحالف أرسل ٥٠ ألف مقاتل من خيرة جوده إلى دريند في أذربيجان ليهاجموها من الشمال، وأن يزحف أحمد بجنوده إليها ليهاجمونها من الجنوب الغربي.

وكانت الحجة الرئيسة الملقاة لتيمور من أجل دخوله بغداد هي تلك المكائنت التي رسلته من أعيان وزعماء بغداد يطالبونه فيها بأن يسطع نغورده عليها ليخلصهم من الحكم المستبد لأحمد بن أوس الذي كان يسعى معاملة الشعب والقادة والأمراء

أما السبب الحقيقي لرحبة تيمور في دخول بغداد هو أنه كان يعتبرها من ضمن أملاك أجداده التي تم انتزاعها منهم، بالإضافة إلى أن وجوده بها وسط نغورده عليها تعتبر خطوة هامة من أجل تحقيق حلمه في سطع نغورده على كل العالم القديم قريبا.

بعد أن تحرك تيمور من همدان لم يشأ أن يعصح صراحة عن وجهته الحقيقية إلى بغداد حتى لا يستدعي أحمد بن أويس الجيوش المصرية والتي كانت بعدد عساكر خاضعة لتبوعها، أو أن يتحالف مع العثمانيين. لذلك أرسل فرقة من جيشه باتجاه بلاد التركمان، وبعد أسبوع تحرك بقوته الضاربة بعد أن أعلن للجميع أنه سيلحق بطلبة جيشه في التركمان.

وقد اتخذ تيمور طريقاً غير مألوف لدخول العراق، إذ دخلها من السهل المحيط لنهر الفرات بعد أن عبر سلسلة الجبال الوعرة المتاخمة له، وقد فعل ذلك حتى يكون دخوله إلى بغداد مفاجئاً، وقيل أن تصل أية أخبار عن تحركاته إلى أحمد بن أويس عن طريق جواسيسه، ونظراً لأهمية رغبته في الحفاظ على سرية تحركاته، ورغبة منه في تحقيقها في أقصر وقت ممكن كان يسير بقواته ليلاً على ضوء المشاهير

وقد نجح تيمور فيما أراد، إذ فجأة أصبح أمام أسوار المدينة بجيشه الضخم مما دفع حاكمها أحمد بن أويس إلى الهرب منها متجهاً نحو الشام، وقد حاول بعض جنود تيمور مطاردته وكادوا أن يلقضوا به لكنه ترك قافلته التي تضم مائتين من أمواله وممتلكاته وهرب حيث استطاع أن يعبر نهر الفرات

بمجرد أن شاع خبر هرب أحمد بن أويس قام سكان بغداد بفتح أبواب مدينتهم لتيمور وقواته فدخلها دون قتال، وكان ذلك في عام ١٣٩٣م

وحديثاً بالذكر أن هناك روايات متضاربة عما فعله تيمور بأهل بغداد بعد دخوله إليها، إذ يذكر المؤرخون المصريون ومؤرخو الشام أن تيمور قام بأعمال تكميل ضد أهل المدينة وكان أبرزها قيامه بقتل سبعين من علماء الدين والكثير من كثراتها، بالإضافة إلى قيامه بمصادرة أموال أهلها ثلاث مرات متتالية

يسمى بذكر المؤرخون التيموريون أنه عامل السكان بكل لطف وحب، وكان له الفضل في إغلاق كل بيوت الدعارة واللهر في المدينة كما حرم على أهلها شرب الخمر، كما أنه قام بنقل أمهر الصانع من كل الحرف إلى سمرقند

أحمد بن أويس يعود لعرشه بمساعدة مصرية

ها هو تيمور قد دخل بغداد، وأصبح ينظر منها إلى دمشق، ويحلم بدخول مصر التي فشل أجداده في عزوها، والتي كانت تعتبر ذات أهمية خاصة بالسبب به لإيمانه بأنه إذا دخلها كانت له كل الدنيا.

لذلك كان أول شيء فعله بعد أن عين نائباً عنه على بغداد أن أرسل إلى مصر رسالة يذكرها فيها بالخسروب التي دارت بين أجداده وأجداد حكام مصر، ولكنه لم يذكر في خطابه أية إشارة إلى هزيمة أجداده، إنما انتقل إلى ما يريد حيث طلب بأن يكون هناك خط لجاري يصل بين مصر ولوجاه إمبراطوريته التي تبدأ من العراق وإيران وتنتهي مع آخر حدود بلاد ما وراء النهر وجورجيا في الشمال.

عندما قبل سلطان مصر مندوب تيمور وعرضاً منه الرسالة قام بقتله وأمر الجيوش المصرية بالتحرك إلى الشام، وأرسل إلى نائبه على الشام يطلب منه وضع الجيوش على أعدة الاستعداد، حيث إن السلطان المصري لم يعرف لتيمور جرأته في الاستيلاء على أحد العواصم الخاضعة للنفوذ المصري، لذلك قرر أن يؤدي تيمور وجيوشه على فعلتهم تلك.

وفي نفس الوقت الذي كان سلطان مصر يسابق الزمن لتأديب تيمور كان تيمور قد حصر جيوشه من بغداد متجهاً إلى الأناضول لبتاوع العثمانيين حكمهم، فعرض السلطان العثماني لذلك غضباً شديداً، وأرسل إلى مصر يطلب منها أن تقبل التحالف معه لتأديب تيمور.

وافقت مصر على طلب العثمانيين، حيث اتفق الطرفان أن يرحف الجيش العثماني باتجاه الموصل وأن يتحرك الجيش المصري ليدخل بغداد

استطاع الجيش المصري الوصول إلى بغداد ودخلها بعد أن استطاع إلحاق الهزيمة بجنود تيمور، وكان أول شيء فعله السلطان المصري هو أنه أعاد أحمد بن أويس إلى عرشه، ومن ثم أصبح أحمد بن أويس تابعا شكلا ومضمونا لمصر.

عندما علم تيمور بأمر ما حدث لبغداد على أيدي الجيش المصري قرر أن يعود إليها، لكن وصلته في نفس هذا التوقيت أخبار عن وجود تحركات عسكرية كثيفة لقوات الهوردة الذهبية على حدود بلاده عند منطقة أدرينجان، فصرف النظر في أمر ما حدث لبغداد حيث قرر أن يعود إليها بعد أن يقضى على خطر الهوردة الذهبية الذي يوشك أن يحتل بلاده، وكان ذلك في أواخر عام ١٣٩٤م.

مواجهة أخرى مع توقتميش

كان توقتميش قد نجح في إزالة آثار الهزيمة المهينة التي تعرض لها في عقر دبره على يد تيمور لك في عام ١٣٩١، حيث استطاع أن يفرض نفوذه مرة أخرى على كل أمراء الهوردة الذهبية، كما استطاع أن يخمد أية ثورات حاول الأمراء الروس والبولنديون القيام بها ضده بفرض الانفصال بأراضيهم عن سلطانه، ولذلك قرر أن يدخل في مواجهة ثانية مع تيمور بفرض استعادة كراته المهددة وعرشه السليب، وكانت حجته في أن يحاول دخول أراضي إمبراطورية تيمور هو المصن على استعادة أراضي أدرينجان التي كانت من قبل لسلطة رجاء الهوردة الذهبية.

وفي سبيل ذلك عقد توقتميش التحالفات مع سلطان العثمانيين في الأناضول، وكذلك مع سلطان مصر، وبطبيعة الحال فإن تيمور لك كان يعرف بأمر تلك التحالفات، لذلك أرسل بعضا من مزارز جيشه إلى أدرينجان لتكون قوات دعم إضافية للقوات المحلية الموجودة بها، بينما قرر هو أن يقوم بتقل عملياته العسكرية إلى جهة الشمال في جورجيا حتى يجبر توقتميش على عدم التقدم نحو أدرينجان، حيث إن وجوده في جورجيا معناه قدرته على الوصول إلى عاصمة توقتميش مدينة بركة سراي.

هزيمة قاتلة لتوقتميش

كان توقتميش مصراً على انتزاع أدريجان من سلطنة تيمور، وقد بنى رأيه على أساس حلول الشعب والإنهاك بقرى تيمور من كثرة السمر والحروب، كما أن احتلاله لها سيعطيه ميزة التحرك بسهولة من وإلى بلاد ما وراء النهر، كما أن بسط سيطرته عليها معناه أن كل إمبراطورية تيمور قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من سلطته.

لذلك لم يعبأ كثيراً بتحركات تيمور في جورجيا، واستمر في الاقتراب من أدريجان وهو يحطم كل ما يقابله من قلاع وحصون تابعة لتيمور، وهذا الأمر دفع تيمور إلى ترك جورجيا والتحرك بقواته إلى أدريجان، حيث نجحت طلائع جيشه في صد هجوم توقتميش الذي أقر الانسحاب إلى بوابة مدينة درند، وكان ذلك في شتاء ١٣٩٤.

انتظر تيمور انتهاء الشتاء ومع بدايات عام ١٣٩٥ خرج بجيشه إلى درند، حيث انتفى جيوش توقتميش وانتسك الجيشان في معركة عنيفة صعبة، وكاد توقتميش أن يتسحر لولا أن استطاع الاحتياطي الاستراتيجي لجيوش تيمور ذلك أن تجهض هجوم توقتميش، وأن نجده هو وقواته على التفتقر بعد أن تعرض لخسائر جسيمة. وكانت أبرز خسائر قوات تيمور هو إصابة كل من ميران شاه بن تيمور وكذلك الأمير سيف الدين.

وإنشاء انسحاب قوات توقتميش من أرض للمعركة انفرط عقد جيشه، حيث قرر بعض منها الانضمام للمخدمة تحت سيطرة تيمور لتلك والبعض الآخر فر إلى الجبال أو الغابات لينجو بحياته.

المطاردة والتطهير

قام توكشيمش بعد الهزيمة المرة التي لحقت به لشأني مرة على يد تيمور لنك بلملحة من بقى من جنوده، وحاول أن يسرع المسير للوصول إلى عاصمته.

بينما كان تيمور سائرا بجيشه باتجاه العاصمة بية دخولها وتحطيم حكم حانات الهوردية الذهبية، فأنجمه إلى وادي العولجا، وهي نفس الوقت كان ابنه ميران شاه وجم جراحه يسير على رأس جيش أنخر هو والأمير سيف الدين، حيث أعاروا على الأجزاء الغربية من إمبراطورية الهوردية الذهبية، فاستطاعوا أن يقتحموا منطقة أوكرانيا الحالية - منطقة قراسو - واستولوا على عاصمتها شهر سراي وواصل تقدمه حتى وصل إلى حدود بولندا، وقد عين على كل المناطق التي فتحها نائب عن والده تيمور لنك، ثم أتجه إلى موسكو حيث قابل جيوش والده.

ومن هناك رجع الجيشان إلى سفوح جبال منطقة القوقاز، وأخذوا في تطهيرها من أي وجود لقوات الهوردية الذهبية، وبعد ذلك اتجهوا إلى مدينة بركة سراي عاصمة إمبراطورية الهوردية الذهبية.

وكانت القوات المدفوعة عنها هي بعض معابر أممية للجيش المصري الذي كان في تحالف مع توكشيمش، ولم تستطع هذه المعركة الصغيرة العدد أن تنفد أمر جماعات جيش تيمور، فهزبت تلك المعركة من أرض المعركة، ومن ثم تمكن تيمور لنك من دخول المدينة، وكان أول عمل قام به هو طرد سكانها إلى الجبال، فماتوا من برودة الجو، وبعد ذلك قام بتعيين نائب له على بلاد الهوردية الذهبية، وبعده إلى أذربيجان، وكان ذلك في عام ١٣٩٦م، بمرص استكمال حلمه المفقود في ضم كل أراضي إيران والعراق والشام لسلطانه.

حاول بعد ذلك توتمشيش أن يعود من جديد إلى مسرح الأحداث، لكن الأمور كانت قد تغيرت بصورة لم تمكنه من تحقيق حلمه، إذ ظهر على الساحة بعد معاداة تيمور لكك للهوردية أحد أمراء ليتوانيا الذي بدأ في فرض نفوذه وبسط هيمنته على الأمراء الروس، لذلك لجأ إليه توتمشيش ليعينه بالمال والرجال لتجهيز جيش يحاول طرد نائب تيمور لكك من على عرش البلاد، لكن كالعادة تلقى توتمشيش هزيمة من قتلج تيمور على ضفاف نهر ورسكلا، مما اضطره إلى الهرب إلى مدينة تيومن إحدى مدن سيبيريا، ثم وجد مقتولا بها بعد ذلك في عام ١٤٠٦م.

كنوز وثروات الهند

وصل تيمور لكك إلى سمرقند في منتصف عام ١٣٩٦ بعد نجاحه في القضاء على توتمشيش وأعطى لجيشه راحة مشروطة بالتناوب، وكان كل تفكيره هو كيفية مواجهة التحالف الذي وقف صده ويتكون من آل عثمان في الشمال ومصر في الجنوب العربي، خاصة أنه بالقضاء على الهوردية الذهبية قد اطمأن تماماً إلى سلامة حدود أراضيه.

ورغم ذلك فإنه قرر أن يتجه إلى الهند ليعتد على سيطرته عليها، رغم أنها لم تكن تشكل أي نوع من الأخطار عليه، نظراً لسيطرة قبيلة أو أسرة تغلق وهي إحدى الأسر المنحدرة من صلب جنغهاي بن جنكيز، وقد كانوا على علاقات ود مع تيمور، بالإضافة إلى عدم محاولتهم إثارة نظراً لمررتهم بمدى قوته وقدرته.

لكن الشيء الذي لفت أنظاره إلى الهند كان ضعف قدرة هذه الأسرة على الإمساك بالحزام للسلطة بها، ولذلك كثرت بشدة محاولات الثورة من الهنادكة،

وعلى الرغم من قدرة أبناء تغلق على وأد تلك الثورات إلا أن كل أمير مهم قد استغل يولايته بينما كانت الحكومة المركزية ذات شكل صوري نظرا لتحاللات الحادة والمعيقة التي كانت بين أفرادها من الأمراء والتي كانت تظهر في صورة معارك دائمة بين أنصار كل أمير منهم.

وكان هناك مسبب آخر دفع تيمور إلى العمل على احتلال الهند وهو تمتعها بالثراء الشديد نظرا لتنوع مناجها وجريان العديد من الأنهار بأراضيها، كما كان يرغب أيضا في تدريب جنوده على خوض المعارك في الأراضي شديدة الحرارة، وذلك كنوع من أنواع التدريب لهم استعدادا لخوض معركته الكبرى لاحتلال مصر.

لذلك حرك تيمور قوات من جيشه في ربيع ١٣٩٧ بقيادة حفيده محمد سلطان للعمل على اجتياح حدود الهند والعمل على احتلال بعض المدن والبلدان الحدودية خاصة مدينة ملتان، وقد نجح محمد سلطان في تمديد رغبات جده وفي العام التالي ١٣٩٨ كان تيمور قد عبر بالقوة الفارسية لجيشه نهر الهند، واستمر في سيره حتى نهر راغي حيث التقى مع القوات التابعة له والتي يفوقها حفيده محمد سلطان، حيث تقدم الجيش إلى مدينة فتح آباد فدخلها بسهولة، وكان قلبها قد فتح مدينتي بهاتير وسرسطى، ومن ثم فقد أصبح على مشارف مدينة دلهي حيث شرع أولا في القيام بأعمال تطهير لكل المقارر العسكرية التابعة خلال الهند أو الأمراء التابعين له، ولذلك اتخذ من قرية كهيताल مركزا لمركز قواته

وعندما طمس إلى إحكام سيطرته على المنطقة بالكامل قام بعبور نهر جمنا والذي تقع دلهي العاصمة على صفته الأخرى، وقد فاجأه أثناء العبور بعض من القوات المدافعة عن دلهي وكانت عبارة عن معرزة أمامية تعسكر في حصن لوني شمال شرق دلهي، وكانت هذه المعرزة تتكون من أربعة آلاف فارس وألف جندي مشاة ٢٧ فيلا وقد استطاع تيمور أن يعضى على تلك القوة بالكامل

بعد ذلك أمر قواته بالوقوف على هيئة قول يسيطر على دلهي من الشمال إلى الغرب، وكان هذا معناه أنه قد بدأ في حصار دلهي بالإضافة إلى وضع جيوشه في وضع الاستعداد للهجوم.

وبدأ هجومه الكبير لاقتحام دلهي، وقد كانت جيوشه أكثر عددا من الجيوش المدافعة عنها والتي بلغت ٤٠ ألف فارس و ١٠ آلاف جندي مشاة و ١٢٥ فيلا، بينما كانت قوات تيمور تتألف من ١٢ ألف مقاتل ما بين فارس ومشاة.

وكان أكثر ما يقلق تيمور قبل اقتحامه دلهي هو كتائب الفيلة، لذلك عمد إلى استدراجها إلى ميسرة جيشه بعد أن نشر كميات هائلة من القطع الحديدية المدببة على الأرض ثم تظاهر فرسان ميسرته بالانسحاب أمام هجوم الفيلة فاندفعت الفيلة إلى الأرض المزروعة بالأشواك الحديدية فلم تستطع مواصلة السير، فانقض عليها جنود تيمور وقضوا على كل جنود كتائبها.

وما أن تخلص تيمور من خطر كتائب الفيلة حتى اندفع مهاجما القوات المدافعة عن دلهي، فاستطاع أن يقضي على أجنحتها، وأصاب قلبها بالكثير من الخسائر، مما دفع السلطان ووزيره وكبار قادة الجيش إلى الهرب من أرض المعركة منسحبين إلى داخل المدينة، فطاردهم تيمور إلى أن دخل المدينة بقواته، بينما هرب السلطان الملعون ووزراؤه من دلهي خوفا من الوقوع في الأسر.

دخل تيمور إلى قصر الحكم بينما كان حفيده محمد وحسين يحشطان المدينة من أي جود مدافعة عنها، وبعد مضي أسبوع واحد من اندلاع القتال كانت الأمور قد استقرت تماما في دلهي، فقام بتعيين نائب عنه لحكمها، وأمضى بها بعض الوقت للراحة، ثم غادرها عائدا إلى سمرقند بعد أن حقق كل أهدافه من هذه الحملة، وكان أبرزها حصوله على خزانم وأسلاب لا تعد ولا تحصى وللدلالة على كثرة تلك الأسلاب منجد أن معدل سير جيوش تيمور أثناء عودتها لسمرقند لم تكن تزيد عن ١٠ كم في اليوم الواحد، مع مراعاة أن معدل في السير دون أسلاب هو ١٥٠ كم/اليوم، وقد وصل تيمور إلى سمرقند في منتصف عام ١٣٩٩م.

تدريب عملي

أمضى تيمور لنك وقته في الراحة بعد أن وصل إلى سمرقند بعد نجاحه في دخول دلهي، وأخذ يفكر في هذه الراحة في كمية التخلص من العبء الذي يتعرض له من آل عثمان ومن عماليك مصر، خاصة في ظل الحلف القائم بينهما، خاصة وأن هاتين الدولتين كانتا تمثلان الخطر الكبير على كل أحلامه في تكوين إمبراطوريته التي أصبحت فاب قوسين أو أدنى من تحقيقها.

مع الوضع في الاعتبار مدى قوة حصيه، إذ إن كلاهما في حقيقته مهددة عن إمبراطورية عظمى تسط نفوذها وهيبتها على كل المناطق المحيطة بها، فإذا كان آل عثمان يسيطرون بمعزلهم على الأناضول وأرضروم وبعض بلاد الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تحتضر بفعل ضربات آل عثمان القوية لأطرافها لدرجة أن القسطنطينية كانت محاصرة بقوات آل عثمان، وأن إمبراطورها عثمانيل كان يدفع الجزية السنوية للعثمانيين حتى لا يتوغلوا أكثر في أراضي

ومن ناحية أخرى فون مصر تسط نفوذها على الجزيرة العربية والشام، وها هي قد كشرت عن ألبابها عندما تعرض لها - تيمور لنك - ودخل بغداد، فإذا هي - مصر - تميد أميرها إلى حرشها مرة ثانية.

كما كان ما يورق فكر تيمور لنك أن كلا من الدولة العثمانية ومصر تمتلك جيوشاً نظامية، وهذا عكس كل البلاد الأخرى التي قابلها والتي ما كانت تمتلك مثل تلك الجيوش النظامية .

ولذلك فإن خطر العثمانيين كان متسجها من الحدود الشمالية والغربية لأراضي إمبراطورية تيمور، وخطر مصر يأتي من اتجاه الجنوب الغربي لأراضي إمبراطوريته

لكن تيمور حسم أمره بضرورة أن تكون مواجهته مع العثمانيين أولاً، وذلك حتى يؤمن كل حدود إمبراطوريته، ومن ناحية أخرى أنه بقدرته على إزاحتهم نحو الغرب إلى أوروبا - شرق أوروبا - يكون قد صمن وتوسع الشام بين يديه بسهولة، ومن ثم يكون قادراً على الزحف إلى مصر وخطوط إمدادات جيشه الخلفية مؤمنة تماماً كاملاً.

لذلك قرر أن يبدأ بإجراء تدريب عملي لقواته في المناطق الغربية من حدوده والمتاخمة لحدود الدولة العثمانية من طريق اجتياحه لجورجيا، وذلك حتى يثرب الرعب في قلوب العثمانيين، وفي نفس الوقت تزداد درجات الأمان لإمبراطوريته، بالإضافة إلى اعتباره الأراضي الجورجية مركزاً لتمرکز قواته قبل انطلاقها للدخول إلى الأناضول في المواجهة الحاسمة مع العثمانيين.

تحرك تيمور بقواته من سمرقند إلى اتجاه الغرب للوصول إلى جورجيا، لكن قيل أن يصلها توقف بجيوشه على مدينة الري حيث قام بتأديب ابنة ميران شاه حاكم المدينة لعدم قيامه بالأعمال التي تليق بحاكم تجاه شعبه.

وقبل أن يغادر الري طلب أن تكون مدينة تبريز هي مقر التمرکز الاستراتيجي لقواته لكونها تحتل موقعا جغرافيا يتوسط بلاد العثمانيين والروم والعرب، ثم أكمل سيره حتى وصل إلى وادي حنشا بجورجيا، وهذا الوادي يقع على مسيرة يوم من عاصمة البلاد تفليس، وببساطة وسهولة استطاع أن يقضى على كل القوات الجورجية التي قابلته، ولما لم يجد أى محاولة للصالح أو التسليم من جانب الملك الجورجي أمر تيمور قواته بالتمسك بتفليس، فدخلوها بنجاح، عندئذ عرض الملك الجورجي الصالح مع تيمور فقبل تيمور بعرض الملك وقام بتعيينه نائبا عنه على جورجيا، وأخذ يتحرك إلى وادي أرسروم ليواجه العثمانيين، وكان ذلك مع نهايات عام ١٣٩٩م وبدايات عام ١٤٠٠م.

حرب جانيية

قبل أن يصل تيمور لترك بجيوشه إلى آسيا الصغرى منح حفيده رستم قيادة فرقة من جيشه انرابص في شيراز، وأمره بالتقدم إلى بغداد، وكان غرضه من ذلك

١ - التخلص من أحمد جلاير الذي عاد بمعية مصرية إلى كرسي عرشه.

٢ - وجود قوات له في بغداد، أي على حدود الشام، يعمل على شل حركة المماليك في حال وعيتهم في مساعدة العثمانيين.

٣ - إثبات مدى قوته للمماليك، ووعيته في الثأر من هزيمته أمامهم، وبالتالي بعدد من مساعدتهم للعثمانيين.

٤ - ضمان هدوء الحبهة الجنوبية لقواته أثناء اندفاعه إلى الأناضول.

وقد وصلت أخبار هذا الهجوم التيموري على بغداد إلى أحمد جلاير، فأرسل قوة من جيشه لمقاومة التيموريين الذين وصلوا إلى بلدة مندلي بالقرب من بغداد، وقد فشلت قوات أحمد الجلايري في صد الهجوم التيموري حيث استطاع رستم الزحف بجيوشه إلى بغداد.

لذلك هرب أحمد الجلايري أمام هذا الهجوم حتى لا يقع أسيراً في قبضة حفيد تيمور، وانجبه إلى قره يوسف زعيم العمة السوداء وطلب منه المساعدة في اندفاع عن بغداد مقابل الكثير من الأموال.

وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه قره يوسف في تجهيز جيوشه للرحيل إلى بغداد وصلت الأخبار التي تفيد أن تيمور قد وصل إلى سيواس وبدأ في حصارها، وأنه أرسل جزءاً من جيشه إلى حدود الشام

أمام هذا الخبر المرعب لهما قررا اللجوء إلى حلب، خاصة وأنه في نفس هذا

التوقيت كانت الاحار تؤكد قيام رستم بعرض حصاره حول بغداد، لكنه لم يستطع ان يدخلها لورود احبار إليه تنفيذ حدوث ثورة في شيراز ضد «الحذ تيمور لئك، فاضطر إلى رفع حصاره عنها ولمسح متجها إلى شيراز .

وعلى الناحية الاخرى استطاع تيمور لئك فرض سيطرته على سيواس بموقعها الاستراتيجي الفريد، ومن ثم يكون قد امتلك مصنح كل اراضي آسيا الصغرى، وهم تستطع القوات العثمانية المكلفة بالدفاع عنها الصمود أمام موجات الهجوم المتتالي لحبوش تيمور لك عليها، فتراجعوا، مما منح قوات تيمور العرصه في هدم أسوار المدينة ودخلها، لكنه لم يركن إلى الراحة بها، بل استمر في توغله في اراضي الأناضول، ثم انجه جويًا فجأة ليصل إلى مدينة ملاطيه الاستراتيجية باعتبارها البوابة الحيوية للأناضول، واستطاع أن يدخلها في نفس يوم وصوله إليها، وبدلاً من أن يعود ليتوغل شمالاً في أراضى الأناضول التي أصبحت لقمة سائغة تنتظر من يمد يده ليحملها، إلا أنه عاجاً للجميع وقرر الراحة في ملاطيا، حيث قرر أن يتجه بقواته إلى سوريا، وذلك لعدة أسباب.

١ - أنه أرسل رسالة قوية إلى العثمانيين توضح قدرته العسكرية بعدما استطاع أن يحتل سيواس وملاطيا.

٢ - احتلاله سيواس وملاطيا معناه سيطرته على الموقف على الحدود مع الدولة العثمانية .

٣ - تأميس حدوده مع الدولة العثمانية معناه قدرته على الحركة بحرية وسهولة في الشام، وبالتالي يستطيع أن يلقى حكام مصر درساً طالماً لحلمه به

٤ - رغبته في دخول بغداد بعد أن كاد حبيده أن يدخلها لولا الثورة التي شبت في شيراز .

٥ - رعيته هي أن يكون دخوله إلى الأناضول دخولاً مزدوجاً بمعنى التخلص من العثمانيين ثم مواصلة السير إلى القسطنطينية التي كان يعتبرها جزءاً من أراضي إمبراطورية جده جنكيز خان، وبالتالي فإن هذا الهدف لن يتحقق إلا بالسيطرة على الشام لتكون خطوط إمداداته القادمة من الجنود من إيران إلى الأناضول في أمان تام أثناء عبورها أراضي الشام.

٦ - أنه في نفس الوقت لجده قد أرسل بخطاب إلى السلطان العثماني بايزيد يخبره فيه أنه ليس في نيته أو تفكيره أن يواجهه على الأرض في معركة، إذ إنه يرغب في أن تتجه فتوحات وتوسعات الدولة العثمانية إلى الغرب أي إلى أراضي أوروبا.

لكن كان كل ما يطلبه أن يترك له السلطان بايزيد مدن مسيوس ، مكلابا ، إبستق وكماخ، وهي المدن التي تقع شرق الأناضول ومتاخمة لحدود الإمبراطورية التيمورية، وكان بايزيد قد ضمها إلى أملاك الدولة العثمانية في فترة سابقة قصيرة.

ملحوظة هامة

كان تيمور من الذكاء بأن لا يستكمل سيره إلى آسيا الصغرى، إذ إن حلمه الكبير أن يقضى على الدولة العثمانية، وأيضاً بسط نفوذه على الإمبراطورية البيزنطية باعتبارها من أملاك جده جنكيز خان.

ولما كان السلطان بايزيد في نفس الوقت الذي احتل فيه تيمور مسيوس والمدن الأخرى كان محكماً حصاره حول القسطنطينية، لذلك لم يحاول تيمور أن يدفع بايزيد لعك حصاره عن المدينة كي يواجهه، بل كان يريد أن يجبر بايزيد في دخوله

المدينة حتى يعاجله هو بالهجوم بعد الإنهالك الذي تعرض له جيشه من طول حصار القسطنطينية، ومن ثم يكون انتصاره على بايزيد في حقيقة الأمر انتصاراً مزدوجاً إذ بهذا الانتصار يكون قد تخلص من الدولة العثمانية وسط سلطاته عليها، وبهذا يسطع نوره على الإمبراطورية البيزنطية باعتبار أنها من أملاك الدولة العثمانية.

وعلياً لهذه الرؤية فإنه كان عليه أن يسطع نوره على الشام كما سبق التوضيح لضمان وصول الإمارات إلى جيشه الذي سيواجه قوات محترقة وشرسة في نفس الوقت عندما يقرر إنهاء سلطة العثمانيين في آسيا الصغرى وأوروبا.

وعلى ذلك فإن توقيت انتزاع الشام من مصر هو التوقيت الأفضل لتيمور نظراً لانشغال بايزيد في حصار القسطنطينية، بالإضافة إلى ظهور بوادر الخلاف بين مصر والدولة العثمانية، نظراً لقيام الدولة العثمانية بفرص سيطرتها على ملامبا التابعة للشام التابع لمصر.

مواجهة مصر على أرض الشام

كان من حسن حظ تيمور ذلك أن السلطان برقوق الحاكم القوي على مصر والشام قد توفي، وتولى العرش خلفاً له ابنه الصغير ذو العشر سنوات السلطان مرج، لذلك كانت الساحة السياسية والعسكرية في مصر مشغولة تماماً بأمر الاستحواذ على السلطة بعد إزاحة هذا الطفل من على العرش.

لذلك أكتمت القاهرة بقراءة التقارير التي كانت عيونها في العراق والشام ترسلها إليها، وكذلك الرسائل التي كان نائب بغداد ومالك الشام يرسلونها عن التحركات العسكرية لتيمور في منطقة الشام، وأيضا نتائج حملاته العسكرية في الأناضول وإيران.

وهكذا وجد تيمور أن كل الظروف مواتية له للحركة العسكرية بحرية في الشام نتيجة اشتغال السلطان العثماني بإيزيد في حصاره للقسطنطينية على أمل وقوعها بين يديه ، وبذلك يكون قد هدم أركان الإمبراطورية البيزنطية ، ونفس الحال في مصر ، نظرا لانشغال كبار رجالها في صراعاتهم الداخلي على السلطة بعد وفاة السلطان برقوق .

بالإضافة إلى كل تلك الظروف فإن تيمور بما كان يمتلكه من خبرة وحكمة فإنه كان قد شمر شبكة هائلة ومتشعبة من الخوارج في كل من الشام ومصر كانت تحده بأدق تفاصيل الأسرار والأحداث التي تحدث ، ولذلك زاد أمله في اجتياح الشام حتى يتسنى له التفرغ لحربه ومعركته الكبرى لدخول مصر ، لأنه كان يأمل أن تضرب النقرة باسمه ، وأن يحط به العلماء من فوق منابر المساجد باعتباره خليفة للمسلمين ، لكون القاهرة هي مقر إقامة الخليفة العباسي منذ أن دمر جده هولاكو بغداد .

أما الأحوال بالضياع في القاهرة فكانت سيئة وتوجه إلى الأسوأ منذ وفاة السلطان برقوق ، حيث إن السلطان الطفل فرج بن برقوق لم يكن في حقيقة الأمر يملك سواء من أمره الشخصي أو أمر المملكة المصرية المترامية الأطراف أي شيء ، إذ كان مسير من قبل من حوله من الأمراء الأقوياء ، والذي كان كل منهم يتحين العرصة للقفز على العرش ومن ثم يصحح الرجل القوى في كل المنطقة .

وبما زاد الأمر سوءا هو قيام ثورة وعصيان على سلطة السلطان الطفل في القاهرة ، وذلك عندما قام نائب الشام واسمه تم بثورة تحالف معه فيها ضد السلطان الصغير كل من نواب طرابلس وحماة وحلب ، وعلى الرغم من خروج الجيش المصري إلى الشام تحت قيادة السلطان الصغير وقدرته على قمع الثورة إلا أن الأمور كانت قد تعقدت باجتماع بايزيد لمدينة ملاطيا وهي تحت السور المصري ورغم ذلك لم تحرك مصر لاستعادتها نظرا لحالة الصراع الداخلي على السلطة

الدخول إلى حلب

بعد أن اطمأن تيمور إلى أن الأحوال الدولية بشكل عام مواتية لانقضاضه على الشام بدأ في توجيه الرسائل إلى فضاء الشام وكسار العلماء بحرهم فيها أنه لا يريد الاستيلاء على الشام، حيث إن هدفه الرئيسي هو الوصول لمصر ليصرب بها السكة -العملة - ويذكر اسمه في خطبة الجمعة.

وامام هذه اليات الصريحة من تيمور أصدر السلطان المظفر فرج بن برقوق أمرا إلى نائب دمشق، الأمير سودون بالعمل على تجهيز القوات الموجودة بالشام للمركة إلى حلب للدفاع عنها أمام هجوم تيمور المتوقع عليها

لذلك تحرك الأمير سودون بالقوات ووصل بها إلى حلب في نفس توقيت وصول القوات لمصرية القادمة من حماة وطرابلس وبعليك وصفد وغرة

وبما كان جيش تيمور يتقدم إليها قادما من ملاطيا وجيوش مصر تنتظره في حلب، وقد قدر المؤرخون المعاصرون لتلك المعارك جيش تيمور بحوالي ٨ ألف جندي ما بين فارس ومشاة، وذلك حسب ذكر قاغاي حلب ابن الشحنة، بما يذكر ابن خلدون أن جيش تيمور قد وصل عنده إلى حوالي مليون فرد

وهذا القول في رأيي مبني فيه جدا لعدة أسباب

- ١ - إجمالي عدد أفراد الجيش الذي كان يخرج به تيمور غالب في كل معاركه والتي كانت بكل المقاييس أكثر أهمية من تلك المعركة - الهوردية الذهبية ، إيران، جورجيا ، الهمطانيين ، إلخ، لم ترد بأي حال من الأحوال عن ١٢ ألف جندي

ما بين مشقة وفرسان.

٢ - معرفة وإدراك تيمور من خلال تقارير جواسيسه بأن الحالة في مصر غير مستقرة، وأن هناك حالة من الصراع الحفى الساخن على السلطة بها بعد موت السلطان برقوق.

٣ - تأكده من هذه الحالة بعد استيلاء بايزيد على صلاطيا وعدم قيام مصر بأى تحرك إيجابى لاسترجاع تلك المدينة لتبقى كما كانت تحت سلطاتها.

٤ - الحالة في الشام كانت مزرية بالتبعية نظرا للمحاولات الانفصالية التى قام بها العديد من ولاة المدن على القيادة في مصر مستغلين في ذلك ولاة السلطان برقوق.

٥ - الهدف الأساسى لتيمور من احتلاله الشام هو الحصول على الاسلاب والغنائم التى تعينه على استكمال هدفه بالوصول إلى القاهرة، ومن ناحية أخرى تمكنه هذه الاموال من رصفه بحرية في الاناضول لإراحة الدولة العثمانية من طريقه

٦ - أن تيمور في حركته بالشام كان حذرا من أى تحرك مفاجئ يمكن أن يقوم به السلطان العثماني بايزيد، ويحدد أثر لهذا الحذر قبل أن يبدأ تيمور تحركاته الفعلية سواء باتجاه الاناضول أو الشام، وذلك من خلال قراره أن تكون شيراز هي مكان التجمع الاستراتيجي لقواته ومن ثم فإنه لم يعامر بحسرواح هذا العدد الكبير - إن صح - من قواته لدخول الشام، وبالتالي يكون ظهوره مكشوفاً في حال قيام بايزيد بأى عمل عسكري مفاجئ له.

٧ - إن تيمور كان يسير بهدوء في طريقه إلى حلب، وهي عكس طريقته التي اعتادها في كل الحروب السابقة على ذلك وأيضا اللاحقة بعد ذلك، كما أنه أرسل برسول منه إلى تيمور طامش يطالبه فيه بالاستسلام حقاً للدماء.

لكن كان رأى أغلبية أصحاب الرأى والقرار فى حلب أن عليهم أن يهاجموا قوات تيمور، وكان مبررهم لذلك أنه بطيء فى سيره للوصول إلى حلب، وبذلك اعتقدوا أنه يجهل خطوط الحركة فى البلاد، وقرروا أن يهاجموه، وكان أول عمل عدائى وجهوه له هو قتلهم لرسوله، مما دفعه إلى اختيار حل دخول المدينة بالثوة وهذا هو ما تحقق بالفعل عندما بدأ الاشتباك الفعلى بين قوات الطرفين، حيث لم تستطع المدينة أن تقاوم أكثر من ساعة بعدما تهاوت كل قوى المدافعين عنها، سمح لقوات تيمور بالاندفاع إليها.

إلى دمشق

لم يمكث تيمور لكث فى حلب، إذ بمجرد أن دخلها بدأ فى الحركة بعد يوم متجها إلى دمشق .

وفى مصر التوقيت كانت الإشاعات تملأ دمشق عن قرب وصول السلطان فرج بن برقوق إليها على رأس القوة المصرية للجيش المصرى.

لذلك قام القادة العسكريون للمدينة باتخاذ كل الإجراءات التى تؤدى إلى نجاح عملية الدفاع عن المدينة، سيما كان القادة الإندليويون لها مقتنعين بأنهم لن يقدروا على الصمود فى وجه تيمور، وبالتالي فبدأ الأفضل لكل الأطراف أن يتم الاستسلام له.

وقد وصل الجيش المصرى بقيادة السلطان فرج بن برقوق إلى دمشق تقريبا فى مصر توقيت وصول الجيش للتيمورى، وقد عسكر فرج برقوق بجيشه حول المدينة شكن أرغم تيمور على الوقوف بجيشه خارجها، وحاول كثيرا من حلال معارزه

الامامية اكتشاف أى طريق يمكن أن يصل به إلى دمشق لكن لم يجد أى شجرة يمكن أن يغلز منها.

ورغم ذلك فقد حدثت عدة مواجهات بين الجيشين أبرزها ما حدث فى موقع مرج النجوم عندما اشتبكت مقررتان من الجيش التيمورى والجيش المصرى، وكان يقود مقررة الجيش التيمورى نيمور نفسه، وعلى الرغم من لمحاخه فى دفع مبرة مقررة القوات المصرية على التراجع إلا أنه لم يستطع أن يخترق قلبها كعادته فى كل حرورية السابقة، وهكذا رجعت كل قوة إلى معسكرها دون تحقيق انتصار حاسم.

وحدث اشتباك ثان بين القوات فى منطقة تلة الكسوة، وفى هذا الاشتباك نجحت القوات المصرية فى إيقاع حفيد تيمور السلطان حسين فى الأسر، وفى اليوم التالى تم استئناف القتال، وبينما كان القتال دائرة أرسل تيمور رسله إلى برفوق الصغير يخبره برغبته فى وقف القتال، وأنه لن يمكث فى سوريا أو دمشق مقابل أن يسمح له برفوق بهرب العملة باسمه، وانتهت المعارك مع حلول المساء.

وبالتالى ذهب السلطان فرج بن برفوق إلى قلعة دمشق للراحة، وهناك ترامت إلى أذانه أخبار مؤامرة متكاملة الأطراف والأضلاع للفقير على كرسى العرش فى مصر من قبل بعض الأمراء المناوئين له، فما كان من الأمراء المواليين له إلا أن نصحوه بضرورة أن يعاد دمشق ليصل إلى القاهرة قبل أن يصل إليها التآمرون.

لذلك أسرع الخطى هو والأمراء المواليون له وعدد كبير من فرسان ومشاة الجيش فى طريقهم إلى القاهرة، حيث استطاعوا أن يلحقوا بالتآمريين بالقرب من ساحل غزة واستطاعوا أن يقتضوا عليهم.

الحيرة ثم الاستسلام

عندما استيقظ سكان دمشق من نومهم علموا بأخبار ترك السلطان فرج أرضه،
 المعركة لو أدت مؤامرة القتل من على عرش مصر، ونفس هذه المعلومة تردد
 صديها في معسكر تيمور، فظن في البداية أنها مكيدة، وأثناء محاولته ترتيب أوراقه
 للوصول إلى قرار دخل عليه وفد من كبار رجال دمشق يتراهم القاضي ابن مغلج
 ويرافقه ابن حيدر وهم يحملون الهدايا لتيمور، حيث أهدوا له أسلحة «مدينة»
 فدخلها، بينما استمرت قلعتها الحربية ترصد الاستسلام وظلت تغاوم قوات تيمور
 لمدة احتلت فيها المؤرخون، فمنهم من قال أنها استمرت في المقاومة لمدة شهر،
 وفي قول آخر ٤٠ يوماً وفي قول آخر ٤٣ يوماً

لهم أن أول شيء طلبه تيمور بعد دخوله دمشق هو الحصول على كل الأموال
 والأسلحة التي تركها السلطان برفوق قبل رحيله إلى القاهرة، وكان ذلك في عام
 ١٤١٤ م.

مغادرة دمشق ثم حرقها

بعد أن دخل تيمور إلى دمشق وحصله على كل الأموال والأسلحة التي تركها
 فرج من برفوق أصدر نصراً لأمراء أهل دمشق كان ينص على التالي:

«يعلم سكان دمشق أن الله تعالى ملكنا بلاد الشام بفعله العظيم علما منه بما
 في قلوبنا من الرحمة للرعية... ليعلم الأشراف والشيوخ والتجار والعمام أنهم
 آمنون على أنفسهم وأموالهم وأحرارهم وأنه لن يظلم فرد من دمشق، وأنه لن
 يتعرض إلى مساجدها»

ولم يمض وقت طويل حتى استقرت الأمور كما يريد ويرغب، لذلك عين نابيا له على دمشق ومفرزة من معارر جيشه ثم غادرها إلى العراق، وبمجرد أن اختفت قوات تيمور عن أعين الدمشقيين حتى هبوا في ثورة عارمة أسقطت نائب تيمور من على عرشه كما ألحقت أضرارا كثيرة بمفرزته العسكرية

عندما وصلت تلك الأخبار إلى تيمور عاد مرة أخرى إلى دمشق حيث دخلها بكل قواته الضاربة، واشتبك أهلها ضربا وقتلا واشعل النار في بيوتها، ثم غادرها بعد ذلك بثلاثة أيام متجها إلى العراق.

إلى بغداد

ها هو تيمور قد تخلص من أي خطورة يمكن أن تقع على جيشه من الشام، وبالتالي لم يكن أمامه سوى العمل على بسط نفوذه على بغداد ليحضر بلذة الانتصار الكبير الذي يندفعه لخصم المواجهة المرتقبة مع العثمانيين، وأجناب ومؤخرة جيشه في أمان تام من أي خطر يمكن أن يلحقها من الجيش المصري

كان تيمور قبل أن يتحرك من دمشق قد أرسل إلى حمصيه رستم بصحبة التحرك على رأس فرقتين، وأن يجد في السير إلى بغداد حيث كان يأمل أن يقوم حمصيه بفتحها قبل أن يصلها هو بجيوشه.

ويرجع تفكيره في ذلك إلى أن الأمير أحمد بن عويس الجلائري قبل أن يهرب من بغداد قد عين نائباً له ليحكمها طوال فترة غيابه، وأوصاه بصراحة بأن عليه أن يستسلم في حال وصول تيمور بنفسه قائداً لجيوشه التي تدخل بغداد

وقد علم تيمور بهذا الأمر من خلال جواسيسه الذين كانوا يتشرون في بغداد، ومن ثم فإنه كان يأمل أن يتم فتح بغداد دون عاء لكن هذه الأمانى ذهبت لأدراج

الريح نظرا لان الأمير فرج الذي ولاه الأمير أحمد بن عويس عرش بغداد قرر أن يقاوم الجيش التيمورى حتى ولو كان على رأسه تيمور، وكان مرور فرج لذلك عدة أشهر .

١ - خوفه من مخادعة تيمور وتكوته من عهده.

٢ - رغبة فرج في أن يجمع في صد هجوم تيمور، ومن ثم يكون الحاكم المتخرج القوي لبغداد وبالتالي للشام .

٣ - عندما أرسل للأمراء في المدن من حوله يطلب منهم معاونته وجد أنهم قد لبوا مداهم إذ أرسل له أمراء مندلى وبعقوة والخلة بخيرة رسائلهم وجردهم

٤ - أنه راض على أن الحرق في العراق لا يطاق، وبالتالي فإن فرصة انتصاره على الجيش التيمورى قائمة وقوة.

ولهذه الأسباب فإنه قرر أن يدافع عنها لذلك اطمأن على سلامة أسوار المدينة وكذلك سلامة حصونها، وأخذ يطلب من علماء الدين تحفيز أفراد الشعب للوقوف في وجه الجيوش الغازية، وقد وجد استجابة رائعة من أفراد الشعب والجيش

وهبت جيوش رستم حميد تيمور إلى بغداد أولا، فتحرك لها فرج بقواته خارج أسوار المدينة على أمل أن يشتت شملها، لكن مع بدء الاشتباكات بين قواته لم تستطع أن تصمد أمام قوات رستم بن تيمور، لذلك ما كان من فرج إلا أن أمر قواته بالتقهقر ودخول المدينة والعمل على الدفاع عنها من حلق أسوارها الحصينة وأرسل رستم بن تيمور برسالة إلى جده يخبره فيها بما استجد على أرض الواقع، ويطلب منه المشورة أو الإسراع في الوصول إليه .

كان وقع هذه الرسالة سببا على تيمور الذي كان يربح في عدم الدخول في مواجهة مع أهل بغداد لعدة أسباب:

١ - أن جيوشه منذ ستين لم تحصل على أى قسط من الراحة

٢ - الحمر بدأ يؤثر بشكل أو بآخر على قدرات جوده

٣ - أنه طبقا لما هو مسطط له فإنه يجب أن يكون هو وقواته فى تبريز استعدادا للانطلاق إلى الاناصول من أجل كسر شوكة العثمانيين نظرا لرعبتهم فى أن يقوم بمباغتتهم قبل أن يباغتوه بالهجوم .

ورغم كل تلك الاسباب التى كان رستم يعرفها وكان ميالا إلى الانسحاب من بغداد، ولذلك أرسل إلى جده يطلب منه القرار النهائي، فإن تيمور قرر أن يحاصر بغداد، وأرسل إلى حفيده يحبره بأنه قادم ويأقصى سرعة.

والسبب الرئيسى الذى دفع تيمور إلى استكمال حصاره لبغداد ودخولها بالقوة هو أن نهر دجلة هو نقطة التجمع الاستراتيجى لأى قوات يمكن أن تصل من مصر بغرض مهاجمة قواته، ومن ثم فإنه وجد أنه من الضروري أن يسيطر نفوذه ليس على النهر فقط، وإنما على بغداد أيضا.

لذلك أرسل مندوبا عنه إلى تبريز حاملا رسالة إلى انه شاه روخ يأمره فيها بضرورة أن يتقدم تيريز على رأس جيش يتكون من ١ فرق من الفرسان والخيوة، بالإضافة إلى فرق المهندسين العسكريين بما تصممه من معدات وأدوات الحصار، وأن عليه أن يتخذ الأمر فور وصوله إليه .

وفى نفس التوقيت أرسل خطانا إلى حفيده السلطان محمد الذى كان قائدا للقوات المكمنة بالدفاع عن العاصمة سمرقند بضرورة أن يتحرك منها على رأس أغلب القوات الموجودة تحت قيادته إلى الغرب للوصول إلى تبريز لمراقبة تحركات العثمانيين .

وهكذا استطاع تيمور بذلك، عسكري حاد وبرؤية استراتيجية متكاملة للأحداث أن يرتب أوضاعه بسهولة ويسر طبقا للمستجدات التى حدثت على أرض الواقع

حصار بغداد

وصل شاه روح بن تيمور بقواته إلى بغداد وبدأ في حصار المدينة، وبعد يومين وصل تيمور على رأس جيشه، ولما علم أن الأمير هرج مُهَيَّرٌ على المنفى قدما في طريق المقاومة أمر تيمور قواته أن تقوم بعمل طابور استعراضى بكامل قوات العرساك والمشاة مع دق الطبول والموسيقى مع كئاب الأعلام.

ولقد بلغت إجمالى عدد القوات المشتركة في طابور الاستعراض حوالى ١٢٠ ألف فارس وجندى مشاة.

وكان تيمور يهدف من وراء استعراضه لقوة ومهارات جيشه إلى بث الرعب والخوف في قلوب المدافعين عن المدينة، لكن لما لم يجد أية تأثيرات على المدافعين أمر قواته بإلقاء القوارب في نهر دجلة وأن يعبر عليها جسود إلى النشء على الآخر للنهر، وأمر بوضع آلات ومعدات الحصار في وضع الاستعداد للهجوم، وبدأ في تحريك قواته لشاة لغتشر أكثر من أسوار المدينة المحاصرة، وأخذ هؤلاء الجنود ينهضون الأبراج أمام الأسوار، وبعد أن أتم هذه الإجراءات انتظر يوما لعن فرح بعمل استسلام المدينة دون قتال، لكن أمه لم يتحقق.

فما كان منه إلا أن أمر رجاله شجهر كتائب من لشاة مهمتها العمل على ثقب أسوار المدينة، وقد عجبت هذه الكتائب في مهمتها، لكنها وجدت أن المدافعين عن المدينة قد سنوا حلق الأسوار الخارجية أسوارا أخرى حلقها وكان هذا يبنى عدم جدوى الفتحات التي تم ثقبها في الأسوار.

قرر تيمور عدم المسادة بالهجوم عن طريق المجانيق وكرات اللهب والرماح والسهام النارية رغم معارضة أغلب قادته العسكريين لقراءه نظرا لتأثير الحر الشديد عليهم وخوفهم من أن تؤثر الحرارة بالسلب على الجلود

وكان عرض تيمور من عدم المبادرة بالهجوم هو دفعه في هدم استهلاك قوه جوده، إذ كان يأمل أن يجد ثغرة في السور تمكنه من الدخول بأقل مجهود أو أن يعلن فرج استسلام المدينة.

بعد مضي اسبوع من إلحاح قادة تيمور له بالهجوم على أسوار المدينة منحه الاقتدار مكافأة على صبره، إذ تحادل المدافعون عن أحد أبراج المدينة وهو برج المعجمي، فاستعمل تيمور هذه الفرصة فامر جوده بتسليق الأبراج المواجهة لبرج المعجمي ونزل جنود تيمور إلى أرض البرج من الداخل حيث استطاعوا أن يقتحموا بوابته.

في تلك اللحظة أمر تيمور جنوده بالدخول عبر تلك البوابة فاندفعوا داخلين في موجات متتالية إلى داخل المدينة، ولم تقص أكثر من ساعتين حتى كان جوده تيمور مسيطرين على أكثر من ربع مساحة المدينة وقبل حلول المغرب كان جنوده قد دخلوا المدينة وسيطروا سيطرتهم عليها بالكامل.

وقد حاول المدافعون عن المدينة الاشتباك مع القوات الغازية لكنهم لم يستطيعوا الصمود، وقتل منهم الكثير لدرجة أن الدماء التي انسابت من هؤلاء المدافعين في نهر دجلة وفي شوارع وطرفات المدينة أدت إلى عفونة هوائها مما حدا بتيمور إلى الأسعاب خارجها بحوالي ستة كيلو مترات حتى لا يتعرض جنوده للأمراض والأذى.

وما تم تنظيف المدينة عاد إليها مرة أخرى وأخذ يجمع العنائم والأسلاب، وعين نائباً عنه على المدينة، وكان ذلك في أواخر عام ١٤١٠م.

وبعد ذلك غادر تيمور بغداد بعد أن ترك خلفه معززة عسكرية لضمان أمنها، واتجه مسرعاً إلى الشمال إلى جورجيا في وادي قرا باغ حيث قرر تحصينة بعض الوقت للراحة هو وجنوده، وفي نفس الوقت منتظراً وصول حفيده سلطان محمد على رأس بعض الفرق العسكرية، وذلك استعداداً لمواجهة الكبرى مع العثمانيين في مقر دارهم في الأناضول.

إلى الاناضول

أخيراً استطاع الماتح العجوز تيمور لك بسط نفوذه وسلطته على الأماكن التي كان يعتقد أنها مكاس الخطر الحقيقية التي يمكن أن تواجهه أثناء زحفه نحو الاناضول لمواجهة العثمانيين، وكان يمس نفسه بقدونه على سقوط ملكهم وورثة بلادهم وها هو الآن يجلس في قرا باغ يستجم من عناء السفر وكثرة المعارك التي خاضها، وفي بعض الوقت يتلقى تقارير حواسبه المشتريين على طول خط الحدود المشترك به وبين العثمانيين، وأيضاً حواسبه الموجودين داخل الدولة العثمانية.

وما كان يطعمه أب السلطان الفخرى لمصر برقوق قد مات، وحلمه انه الصغير والذي كان المعبود في أيدي من حوله، بالإضافة إلى توتر العلاقات التي شابت تصرفات الخديين الكبيرين بعد استيلاء نابريد العثماني على ملاطيا والواقعة ضمن الأملاك المصرية في الشام، وما حدث من موقف ضلي لمصر بعد قدومه - تيمور - على احتلال دمشق وبعداد، ومن ثم فإنه تأكد من عدم وصول أي دعم حقيقي من مصر لسلطان العثمانيين حتى لو طلب نابريد ذلك بعد نشوب معارك بينه وبين الجيش التيموري نظراً لوجود خطوط المواصلات تحت سيطرة أمراء تيمور

وسلك لم يعد نابي أمام تيمور إلا اختيار اللحظة المناسبة للانقضاض على الدولة العثمانية والعمل على إسقاطها وورثتها

انشغال بايزيد

وعلى الضفة المقابلة فإن بايزيد العثماني مذ أن اعتلى عرش الدولة العثمانية وشغله الشاغل هو العمل على اقتحام القسطنطينية، نظراً لأن واقع الحال كان يؤكد أنه السيد الحقيقي على بيرطة حيث كان قصبة العثمانيين يتصدرون قاعات محاكم

القسطنطينية، وكان المؤيدون العثمانيون يؤيدون للصلوات الخمس في مساجد القسطنطينية، وإمبراطور بيرطة كان يدفع له الجزية سنويا عن طيب خاطر، وتسمى ألا يتعرض لهجوم عسكري عثماني، كما كانت جمهورية البندقية ومدينة جنوة يديون كل طلبات السلطان العثماني باعتباره الحاكم القادم على الإمبراطورية البيزنطية وسيد آسيا الصغرى.

وفي الوقت الذي كاد فيه السلطان بايزيد يتمكن من دخول القسطنطينية وفتحها بالقوة بعد طول حصار محكم ضربه حولها فإن الصليبيين قرروا أن يدافعوا عن معقل الأرثوذكسية في أوروبا بفرص أن يضموها لكنيستهم الكاثوليكية بعد ذلك. وكان لا شائبته مع قوات هذه الحملة الصليبية التي كان عدد أفراد جيشها يزيد عن مائة ألف جندي أثر كبير في إنهاك قواته، وعلى الرغم من قدرة بايزيد على تثبيت الجيوش الصليبية وإلحاق هزيمة ثقيلة بهم إلا أنه حصر التالي:

١ - حصر قدرته على دخول القسطنطينية التي حاصرها حصارا قويا وطويلا.

٢ - إنهاك جيشه في معركة لم يكن مستعدا لها مع الصليبيين.

٣ - زيادة إنهاك قوى أفراد جيشه نظرا لمرايشتهم طويلا على جبهة القتال من أجل حصار القسطنطينية، وبعد ذلك في مواجهة الجيش الصليبي.

لكنه في نفس الوقت كسب التالي:

١ - إثبات قدرته كحاكم قوى ليس فقط على الأناضول، بل على أوروبا وما جاورها نتيجة حصاره القاسي على القسطنطينية.

٢ - ارتفاع الروح المعنوية لجنوده نتيجة انتصارهم الرائع على حملة كل صليبي أوروبا.

٣ - التخلص من أخطار الصليبيين في أوروبا - وهو ما استفاد منه حفيده السلطان محمد الفاتح الذي استطاع ذلك أسوار القسطنطينية ودخلها عنوة.

التحرك إلى أرض المعركة

كان بايزيد قد تحلّص من الصليبيين في أواخر عام ١٤١٤، وكذلك فك حصاره عن القسطنطينية لما وصلت أخبار تحرك تيمور لك على رأس قواته متجهًا إلى الأناضول.

وقد توقع بايزيد أن تكون معركة الكبرى المرتقبة مع تيمور لك في مناطق ما حول أنقرة لكونها المنطقة الوحيدة التي لها طريق يصلها بمنطقة سيواس التي يحسّر بها تيمور بعد قدومه من جورجيا.

وبمجرد أن وصلت إلى بايزيد أخبار مؤكدة عن بدء تيمور في تجميع قواته في سيواس دون بايزيد قرر أن يصير بقراته نهر هاليس في منطقة أنقرة ليكون على الجانب الجنوبي الشرقي للنهر، ومن ثم يكون شر قواته في وادي هضبة الأناضول المتاخمة لنهر هاليس وهي تبعد بحوالي ١٠٠ كم عن منطقة سيواس التي يحسّر فيها تيمور وقواته

انتظر بايزيد على رأس قواته التي وضعها في تشكيلات دفاعية على أن تتحول إلى الأوصاع الهجومية بمجرد ظهور القوات التيمورية، لكن انتظار بايزيد زاد إلى ثلاثة أيام ثم أسرع، ولم يظهر أي أثر لتيمور، مما دفع بايزيد إلى إرسال العديد من السرايا الجوالّة لمعرفة مكان جيوش تيمور، خاصة بعد أن وصلت رسائل من جواسيسه تخبره ببدء جيوش تيمور في التحرك من سيواس باتجاه أنقرة، ولما كانت المسافة بين سيواس وأنقرة مائة كيلو مترًا فهذا معناه أنها على مسيرة وعلى أكثر تقدير يومين.

المهم في الأمر أن تلك السرايا الحوالة التي أرسلها بايزيد للتعرف على مريد من المعلومات من أماكن تحرك الجيش التيموري وصلت أخبارها التي رادت من حربه، إذ أوصحت له أن سيواس بها بعض المقاتل البسيطة من الجيش التيموري أما قوام الجيش الرئيسي فلا أثر له كما لو كانت الأرض قد انشقت وبلعت في جوفها

ذكاء تيمور

كانت الأخبار النهائية المؤكدة قد وصلت إلى تيمور تؤكد له تمركز جيوش بايزيد على الضفة الجنوبية الشرقية لنهر هاليس الذي يصب في مياه البحر الأسود، وما كان تيمور يرغب في أن تكون المعركة الفاصلة بينه وبين بايزيد في جوف الأراضي العثمانية حتى يتحقق لجيشه الدافع النفسي من أثر التوغل العميق في أراضي العثمانيين، لذلك فإنه فكر في فكرة عبقرية وبسيطة، إذ قرر أن يخرج بقواته من سيواس لكن لن يتجه بها شمالاً كما توقع خصمه، بل سار بها باتجاه العرب إلى أن وصل إلى آخر نقاط نهر هاليس قبل أن تصب في البحر الأسود، وعبر النهر وسار على ضفته الشمالية الغربية، وبذلك يكون في خط مواز للقوات العثمانية، وفي نفس الوقت بعيد عنها، وهذا الوضع يحقق له القدرة على التوغل في أكبر مساحة ممكنة من أراضيهم.

كما كان تيمور يهدف من وراء تلك المناورة هدفاً آخر، هو أن تجد حيرله العداة الجيد والمتوهر، نظراً لأن الربيع قد حل على المنطقة، وبذلك يعوض الخيول والجنود عن فترات الجفاف والقحط التي عاشوها في بغداد وحتى وصولهم إلى سيواس

الخطوة العسكرية

هكذا نجح تيمور في أول اختبار عملي أمام حصنه اللدود بايريد الذي كان في مرحلة البحث عن تيمور المتوغل في أراضي العثمانيين وبقوة تيمور على الوصول بجيشه إلى هذه المرحلة يكون قد حقق نجاحاً استراتيجياً على حصنه الذي فقد القدرة على الإمساك بدفة الأمور، وقد كان هناك خياران رئيسيان أمام تيمور، الأول مهما أن يقع على الضفة الشمالية العربية لنهر ويضع جيوشه في وضع الاستعداد للهجوم على جيوش بايريد عديم تعبر النهر أو هي تسير نفس خط سير جيوش تيمور والاختيار الثاني أن يتوغل أكثر قدر في استطاعته في الأراضي العثمانية.

وقد اختار أغلب القادة العسكريين الاختيار الأول، يسا اختبار تيمور الاختيار الثاني، وكان مبرره لذلك أن أغلب الجيود العثمانيين من المشاة، ومن ثم فإن سيرهم كثيراً من أجل ملاحقة جيوشه - جيوش تيمور - سيصيب هؤلاء الجيود بالثعب والإرهاق، وفي اللحظة التي لن يقدروا بها على الحركة السريعة ستكون هي لحظة بداية انطلاق المعركة .

ولذلك قرر تيمور أن تكون مؤخرة جيشه من العرسان الثقيلة يسا مقدمة جيشه من سلاح العرسان خفيف الحركة والمشاة، وتكون أمامها فرقة من سلاح المهندسين لغزو واختيار أماكن إقامة المعسكر الذي سيقم به أفراد الجيش، كما أن مهمة سلاح العرسان حفر الآبار وتجهيز الطعام للأفراد والحيول.

وقد تعتمد تيمور في تحركاته أن يحمي قواته عن أعين جيش بايريد عن طريق السير خلف التلال أو وسط الغابات، وكان لهذه الحركة أثر كبير في إرهاق جيوش بايزيد، حيث إن أغلبها من المشاة.

وكانت هناك مفاجأة بدت سيئة في أول الأمر لتيغور وجيوشه، حيث اكتشف الجميع أن مبرهم خلف التلال وبين الغابات قد أبعدهم عن النهر، حيث لم يعد على مرمى البصر منهم كما كان الحال في بداية سيرهم، لكن سرعان ما تحول هذا الخبر من كابوس إلى مصدر السعادة لتيغور، إذ علم من بعض جواسيسه الذين انضموا له بأنهم على مقربة من وادٍ فسيح به الماء الوفير، وبالإضافة إلى ذلك أن معسكر مركز جيوش بايزيد على مقربة ثلاثة أيام منهم.

عندما علم تيغور بذلك أخذ يسابق الزمن في السير للوصول إلى المعسكر الرئيسي جيوش بايزيد قبل أن تدخله قوات الاحتياط الاستراتيجية لبايزيد، وفعلا نجح تيغور بعد يومين من الوصول إلى المركز العالي من الجنود اللهم إلا بعض جنود الحراسة الذين أهلكوا استسلامهم لتيغور بعدما رأوا جماعات جيشه، وهكذا نام تيغور ورجاله في خيام بايزيد ورجاله.

وعند تيغور إلى إرسال فرقة من فرق جيشه لمهاجمة أنقرة التي كان قد وصلها خبر استيلاء تيغور على المعسكر الرئيسي للجيش، وعندما وصلت الفرقة التيمورية إليها وجدت أن حراس المدينة قد أهلقوا الأيوان، فما كان من الفرقة التيمورية إلا أن بدأت في مهاجمة أسوار المدينة بشراسة.

وفي نفس الوقت أمر تيغور فرقة الهندسين بصعوبة تحويل مياه مجرى نهر هاليس ليكون مجراها خلف المعسكر، وبذلك يحرم جيوش بايزيد عند وصولها من الماء.

وبما مهندسوه يحولون مجرى النهر استطاعت فرقته العسكرية أن تقتحم أحد أبراج حراسة مدينة أنقرة وأن تحتله، وذلك كمقدمة لدخول المدينة لكن تيغور أمر رجاله بالانسحاب بعد أن علم أن مقدمات جيش بايزيد أصبحت على بعد ٢ كم من المعسكر.

جمع تيمور كل جيوشه في المعسكر ووضعها في حالة تأهب، وبمجرد أن حل العروب أمرهم بإشغال الديران، وكان اتجاه الهزاة بأحد دغنها إلى حيث يقف بايزيد وجوده الثعوب من طول السير لللاحقة تيمور، وكانوا في حاجة إلى رشفة ماء لم يجدوها فعزوا لتحريك مجرى النهر عن طريق فرق مهندسيه بالإصادة إلى جوعهم.

وهكذا أصبح بايزيد في وضع صعب، إذ لم يكن يملك إلا احتيار وحيد وهو ضرورة البدء بالهجوم على عاصمة المجوز.

وكان تيمور كعادته قد قسم جيشه إلى ميمنة، وكان يقودها ابنه مهران شاه ويساعده ابنه أبو بكر، والأمير طهارت، والميسرة جعل قيادتها لابن شاه روح ويساعده ابنه خليل، والقلب جعل قيادته لحفيده سلطان محمد، ومؤخرة الجيش التي تقع خلف القلب مباشرة فإن تيمور احتصنها لنفسه، والحديد في هذه المعركة أنه استخدم كمية من الفيلة بقدر عددها بحوالي ٣٢ فيلا

بينما كان التشكيل القتالي لقوات الدولة العثمانية بقيادة السلطان بايزيد بمائل تقريبا التشكيل القتالي لقوات تيمور، إذ نجد أن بايزيد قد قسم قواته إلى ميمنة وكانت تحت قيادة الأمير سليمان بن بايزيد، والميسرة وكانت قيادتها لشقيق زوجته السلطان ملك الصربي لازار فيلكوفيتش، والقلب وقد احتصنها بايزيد لنفسه ويساعده في قيادتها ابنه موسى ومصطفى، وقوات الاحتياط التي تقع خلف القلب فكانت قيادتها للأمير محمد جلبي بن بايزيد.

بدأت الحرب في جو حار ونحت أشعة الشمس الحارقة، وقد نعمت تيمور أن يبدأ هجومه كالعادة بميمنة القوية، لكن الحديد هذه المرة أن هجومها أخذ هيئة موجات متصلة، بدأت تلك الجهة هجومها عن طريق الأمير أبو بكر حميد تيمور، تبعته موجة هجومية أخرى بقيادة الأمير طهارت، وأخيرا الموجة الثالثة بقيادة مهران

شاه بن تيمور، ونتيجة تلاحق وعنف وقسوة ضربات تلك الموجات الهجومية فإن
ميسرة جيوش بايزيد قد تعسخت.

ومع نجاح ميسنة الجيش في سحق ميسرة جيوش العثمانيين تدخلت ميسرة
الجيش التيموري بقوة في المعركة، إذ اندفعت لمهاجمة قلب جيوش بايزيد، وأيضاً
من خلال هجوم ثلاثي الموجه تبعه هجوم القلب على موجات، وكان لهذه
الموجات الهجومية المركزة من جيوش تيمور على جيوش بايزيد أثر في إثارة الدلائل
الشديدة في صفوفها مما أجبرها على الانسحاب غير المنظم، مما أتاح الفرصة
لأجنحة تيمور بالانطباق على وسط جيش بايزيد مما زاد المعركة اشتعالاً، وتم قتل
الملك المصري شقيق زوجة السلطان بايزيد، بالإضافة إلى أن قوات النكشارية
العثمانية أصبحت عاجزة تماماً عن الحركة، فأعلن كثير من ضباطها وفادتها
الاستسلام، وأصبح السلطان بايزيد وكبار قادة جيشه في خطر جسيم، نظراً
لهروب الحراسة من حولهم، كما أن جيوشهم قد هربت من ساحة القتال ونتيجة
لذلك فقد تم أسر السلطان بايزيد وتم اقتياده إلى خيمة تيمور تلك الذي ما إن رآه
حتى رحب به وأجلسه بجواره، وأمر بإحضار ملابس مناسبة له وكذلك لابنه
موسى.

وبما كان تيمور يجلس في خيمته مع أسراه الملكيين كانت قواته تطارد غلوز
الجيش العثماني حتى وصلت خلفهم إلى سواحل البحر الأسود، وكانت قوات
تيمور تقتل كل من يقابلها من جيوش العثمانيين.

ونتيجة لهذه المعركة ووقع السلطان بايزيد في الأسر فإنه مرض مرضاً شديداً
أقعدته الفراش، ثم ما لبث أن مات بعد ذلك بحوالي ٦ شهور.

وهكذا استطاع القائد العجوز ابن السبعين عاماً والذي يدعى تيمور تلك تحقيق
حلمه الكبير بالفتوح على شوكة العثمانيين التي كانت تغلق مضجعه وتثير الكثير من

الخوف في عقله قبل قلبه من أن تقتحم حدود إمبراطوريته المتاخمة لحدودها وتسب له الكثير من المشاكل

ولذلك وبمجرد أن اطمأن على انتصاره الساحق، وأنه لا خطر من العثمانيين عليه قرر العودة إلى سمرقند عاصمته الأثيرة ومديته الحبيبة، ولم يحاول أن يتوغل غرباً في أراضي أوروبا رغم أن الطريق كان ممهداً له للقيام بذلك إن أراد.

وترجع عدم رغبته في الدخول إلى أوروبا إلى رغبته بتحقيق حلمه الأثير وهو دخول مصر ليصبح خليفة المسلمين في العالم، وأن يضم الصين لأملاكه باعتبارها كانت من البلدان الخاصة لتعود جده الكبير الامانج حكيماً خان

وكان المكس الرئيسي الذي حققه بايزيد بالإصافة إلى فضائله على قوة الدولة العثمانية هو حصوله على أسلاب وغنائم لا حصر لها.

أما أكبر الخسائر التي لحقت بتعمور من جراء دخوله تلك الحرب مع العثمانيين هو وفاة حفيده المحبوب لديه الأمير محمد سلطان نتيجة للجروح التي أصابه في ميدان المعركة، وكان تعمور يبيع كل ثقلته وأمواله في حفيده محمد سلطان بعد وفاة ابنه الأكبر جهانكير، والتالي له عمر شحيح حيث أثنت المعارك المتتالية والأحداث المتتابعة لتعمور أن اثناء ميراث شاه وشاه روح لا يتمتعان بأى سمات بل شخصية القيادية، وبالتالي فإن كل أماله في المحافظة على حدود إمبراطوريته التي أوجدتها بمعاركه وانتصاراته المتتالية قد وضعها في حفيده محمد سلطان محبوب الشعب والجيش الذي مات في أنقرة.

لذلك حزن عليه حزناً كبيراً، وقرر أن يعود مسرعاً إلى سمرقند ليرتاح قليلاً من قسوة الأقدار ومتاعب المعارك قبل أن يقرر وجهة فتوحاته القادمة، وقد بدأ التحرك من أنقرة في منتصف عام ١٤٠٣م.

احتفالات سمرقند

كانت أخبار الانتصار التاريخي لتيemor لك على قوات العثمانيين في معركة أنقرة قد جابت العالم كله من الصين إلى أقصى نقطة في شمال أوروبا وقد أصبح مجرد ذكر اسمه تيemor لك مرادفا للقوة والشجاعة، ويصيب الذعر والخوف كل من يعتقد أن دوره قد حان لملاقاة تيemor .

وبطبيعة الحال فإن الفرحة كانت مصاحفة في سمرقند تلك المدينة التي لم يتخل عنها أبدا تيemor لك واعتمدها عاصمة لكل البلاد التي تحت سلطانه وعوده، وكانت تمثل له الملجأ والملاذ عندما يضيّق به الحال قبل أن ينفض عن كاهليه غبار الكسل يهاجم إحدى البلاد التي يشعر بخطرها تجاه إمبراطوريته .

لذلك عبرت سمرقند عن جها لايتها البار بأن استقبلت وهي في أبهى صورها، إذ تم رفع الأعلام الملونة على كل مبانيها وخرج أفراد شعبها إلى الشوارع ليستقبلوا بطلهم المحبوب على دقات العبلول وأصوات المزامير .

وقد أجبرت جموع أفراد الشعب تيemor لك عندما عر أسوار مدينته المحوية إلى أن يتحرك في كل طرقاتها وشوارعها لتحية الناس الذين خرجوا جميعا من بيوتهم، وتعبيرا مه عن تضامنه مع أفرادهم أصدر أوامره بتوزيع الطعام على كل المحتلين، وأن ينال كل منهم نصيبا ولو ضئيلا من الأسلاب والغنائم التي استولى عليها في حروبه في العراق وجورجيا، وأخيرا أنقرة، واستمرت تلك الاحتفالات مدة شهرين كانت سمرقند تدها كما لو كانت في يوم عيد طويل لا ينتهى .

أمسى تيمور تلك الليلة في استغياي كبار رجال سمرقند من علماء دين وكبار
نجار، وأيضا نوبه على البلاد المختلفة في إمبراطوريته المترامية الأطراف.

ويلا شك كان لهذه الاحتفالات تأثير كبير في العمل على تحجيم غليان حربه
على فقدة لحصنه الأثير لديه في معركة أنقرة، وهذا ما ظهر أثره في أنه بدأ يشكر
فيما يجب عليه أن يفعله في المستقبل .

لذلك عقد اجتماعا ضم الأمراء من أولاده وأحفاده وكذلك قادة الجيش
المخلصين له في اجتماع عام، حيث طلب منهم الاستعداد لمزو الصين، وقد صرح
لهم بذلك بكل حماسة يمتلكها ويكل جسم في القول وحزم في الأمر، وأحد
يذكرهم بأن الصين هي طريقه للوصول إلى أراضي أجداده، بالإضافة إلى أنها
كانت من أملاك جده جنكيز خان، وكان من ضمن ما قاله لهم:

«لقد فتحنا كل آسيا عدا الصين طوال الفترات السابقة فغلبنا على ذلك العدد
الكبير من الملوك العظام، لذلك سنظل إنجازاتنا حديث الناس على مر الزمن، لقد
كنتم رفائقي في حروب كثيرة ومعارك عديدة ولم تهزموا قط، لكن رسالتنا لم تنته
بعد، فهناك الصين الوشيقة القائمة إلى جوارنا، وهي ضعيفة هزلة ولن يستدعي
التعب عليها طاقة كبيرة، لذلك فإنها الهدى لحملتنا القادمة»

وبمجرد أن انتهى من حديثه ظهرت حماسة كل من حضروا الاجتماع، وأمر
بعضهم بأن يفتح في بوق الحرب وأن تدق الطبول، ولما رأى تيمور ذلك ذلك من
أبناء وأحفاده وقادة جيشه شعر أن حلم دخول الصين قد أصبح حقيقة وأنه لا
يفصله عن تحقيقه إلا وقت السير .

إلى الصين

بعد أسبوع واحد من هذا الاجتماع الحماسي الكبير كانت جيوش تيمور متأهبة للحركة لنضج الصين، وقد بلغ عددها ٢٠٠٠٠٠ فارس وحدى وكنتية للمهندسين وكثائب القيلة .

وعلى الرغم من أن وقت تجمع الجيش كان في أول فصل الشتاء وهو ما يعنى سقوط الثلوج والأمطار العزيرة بالإضافة إلى البرودة الشديدة في الجو إلا أن تيمور رفض نصائح معاربه بأن ينتظر قدوم الربيع، وأصر على أن يبدأ بجيش تحركه في هذا الوقت .

وقد كان تيمور يقصد من وراء ذلك أن تسقط الصين بين يديه بأقل مجهود ممكن، خاصة وأن حكامها كانوا يدركون أنها هدف له، لذلك قرر أن يقاضهم مع مطلع الربيع بوجود قواته أمام سورها العظيم .

وقد منح تيمور قيادة ميمنة الجيش إلى حميدة خليل، وأمره بالخروج أولاً من سمرقند، وكالعادة أحكم تيمور تلك قيادته على قلب الجيش وسبح حميدة مير محمد بن أكر أساته جهانكير قيادة مبصرة الجيش

عبر الجميع نهر سمرقند باتجاه الصين، وكان شكل الجيش التيمورى لم يخطر إيه من بعيد يماثل مدينة تتحرك بهدوء وانسيابية، وبمجرد عبورهم النهر هبت عليهم الرياح الشمالية شديدة البرودة فأجبرتهم على الوقوف، حيث نصبوا خيامهم، وكان تيمور قد اهتم اهتماماً شديداً بأن يكون مع جيشه أعداد لا حصر لها من الأظلم والأبغار اللارمة لكفاية عداء أفراد جيشه في هذا المناخ الشديد البرودة

ولم يمض وقت طويل على هبوب الرياح الباردة عليهم حتى بدأت الثلوث هي التناقص، وبدأت جداول المياه في التجمد، وهي تلك اللحظة حاول بعض من قادة العرق إنشاء تيمور عن قراره بالاستمرار في المسير والمعودة إلى مسرقتة، إلا أن تيمور أصر على موقفه السابق، وقرر أن يسير بقلب جيشه إلى مدينة أوترار الواقعة على حدود الصين الشمالية، على أن يلحق به حبيبه حليل قائد ميمة الجيش.

بعد عتاء شديد وجهد جهيد وصل تيمور إلى أوترار، وللدلالة على مدى انشغاله التي كابدها من أجل الوصول إلى تلك المدينة يجب أن نعرف أن معدل سيره في اليوم كان لا يتعدى العشرة كيلو مترات، نظراً لأن الثلوج قد صطت الأودية والسهول كما غطت قمم الهضاب والخيال، وكان ذلك في عام ١٤٠٥ حيث قرر أن يتوقف عن المسير انتظاراً لدويان الجليد مع هبوب نسائم الريح

مع أول إطلالة لحو الريح الدافئ قرر تيمور أن تقوم القوات التي معه بعمل طابور اصطفاة لتنام الاستعداد، ثم تبعه بإجراء طابور استعراض غير فيه الجيش أمام قائده عن مدى قوته وانضباطه.

وفي هذا الاستعراض لقوات الجيش وقف تيمور محافظاً جنوده وقادة جيشه قائلاً «حافظوا بشجاعة على السيف في أيديكم، كونوا على وفاق فيما بينكم وهي الشفق والموسى خرائكم، ولا تتحولوا أبداً مرجعكم عن السير إلى الصين»

وفاة تيمور لنك

كان الاستعراض العسكري للقوات أمامه وأيضاً خطبته الحماسية في رجاله هي آخر مرة يجتمع فيها تيمور مع جيشه، حيث إنه في اليوم التالي لهذا الاستعراض رافته المنية قبل أن يرى جيوشه وهي تتحرك إلى الصين لتحقيق أهم أحلامه لينزع بعد ذلك لتحقيق أغلى أحلامه وهو عرو مصر والسيطرة عليها

وقد اجتمع تيمور في مساء اليوم السابق على وفاته وبعد الانتهاء من مشاهدة العرض العسكري لجيوشه بكل أمراء الجيش وقادة فرقته المختلفة حيث قرر أمامهم أنه يجب حفيظه بير محمد بن جهانكير نائبا له، وأنه في حالة حدوث مكروه له - أي تيمور - فإن كل سلطاته تنقل إلى بير محمد، ومن ثم فإنه يكون صاحب القرار النهائي في كل ما يخص شؤون الجيش والشئون السياسية الخاصة بكل البلاد والمدن التي تضمها إمبراطوريته مترامية الأطراف

وبعد أن انتهى من حديثه طلب من كل الأمراء والفداة أن يقسموا له بيمين الولاء والطاعة على ما سمعوا.

وعندما طلب من بعض أمراءه وأحفاده الموجودين معه أن يقوموا باستدعاء بعض الأحفاد ليسمعوا منه قراره صمت فجأة بعدما سمع منهم ما يطلبون وأجاب عليهم بإجابة كانت جديدة عليهم، إذ أخبرهم أنه يعتقد أن هذه الجلسة هي آخر جلساته معهم، ثم صمت لبرهة وأردف قائلا: إنها إرادة الله. وصمت، وبعد فترة كان الصمت هو المهيمن فيها على خيمته أخبرهم أنه يتسنى أن يرى شاه روح، لكنه أوضح لهم أن تحقيق هذه الأمنية شيء مستحيل لا يمكن تحقيقه

بعد ذلك أنهى الاجتماع وحرص كل من في الخيمة، وعندما حاول بعض أحفاده البقاء معه طلب منهم أن يتركوه وحيدا، فخرجوا وأغلقوا باب الخيمة عليه، ووقف أمامه أحد الجنود ليكون في حزمة سيده.

لكن مع مطلع النهار اكتشف الجميع أن ذلك الشجاع الذي لا يحاب المهادن ولا يخشى المواقف العصيبة قد مات.

وقد أدرك جميع من حوله بمجرد علمهم بخبر وفاته أنهم فقدوا زمرا كبيرا وبطلا عظيما وصعهم في موضع القيادة والتحكم على نصف مساحة العالم المعروف في حياته

فشل غزو الصين

كان أول شيء فعله الأمراء من أحفاد وأساء تيمور لك وكذلك قادة الفرق العسكرية الموجودين في أوترار هو عقد اجتماع طارئ، حيث أخذوا يدرسونه ما يجب عليهم عمله تجاه هذا الموقف العصيب الذي يواجهونه دون وجود رأي أو مشورة تيمور لك .

لذلك قرروا بعد شد وجذب أن يقوموا بانتحاض أحد أحفاد تيمور لقيادة الجيش حتى يستطيعوا مواصلة الزحف إلى الصين وتحتها باعتبارها كانت رغبة محبوبهم الدائم العظيم، وفي نفس الوقت قرروا أن يرسلوا جثمان قتلتهم مع أولوخ بن شاه روح ومي حماية قوة عسكرية قوية إلى سمرقند ليدس هناك .

حمل أولوخ جثمان جده وانجمه به إلى سمرقند، وينسا هو في الطريق كانت الرسائل قد تطايرت من أوترار إلى كل المدن والمدن الخاضعة لنفوذ تيمور تخبرهم فيها بوفاته، وكان من حسن تلك الرسائل رسالة إلى بير محمد نطاله فيها بسرعة احضور لتولي مقعد القيادة خلفا لجده طبقا لوصيته

ثم قرر المجتمعون بعد ذلك أن يتحركوا إلى الصين لغتها، لكن لم يمض إلا ساعات على بدء تحرك القوات التيمورية إلى هدفها حتى أعلن كل قادة الفرق العسكرية وما دونهم من قادة أنهم قد أقسموا بيمين الولاء والطاعة على خليل بن ميران شاه بن تيمور كقتائد عام على الجيش، وبالتالي فإن هذا التصرف منهم إنما كان يعني عمليا أن خليل هو من سيجلس على كرسي العرش في سمرقند بالمخالفة لوصية الجده الذي عين بير محمد خليفة له.

الرجوع إلى سمرقند

نتيجة هذا الصراع الذي حدث على السلطة بعد وفاة تيمور لك بالتحالف لوعيته التي كان قد أهلها على رؤوس الأشهاد في عير حياته فإن قادة الجيش الذين طلبوا على صيدهم لوصية تيمور لك فرروا بعد عقد اجتماع عاجل فيما بينهم أن لا أمور يشوبها الكثير من الاضطراب بعد الانقسام الذي حدث في صفوف الجيش، ولذلك رأوا أن أفضل شيء يمكن فعله من أجل المحافظة على السمعة والهيبة العسكرية لإمبراطوريتهم والتي بناها تيمور لك بكماحه وعرقه وجهده أن يعودوا إلى سمرقند، وأن لا يكملوا سيرهم لفتح الصين.

وقد أسرع الجيش في سيرة عائدنا إلى سمرقند حتى استطاع أن يلحق بالوكب البجايزي لأولوخ، وعندما وصل الجميع إلى سمرقند وجدوا أن أبوابها موصدة في وجوههم بالرغم من وجود جنود حبيب الشعب السمرقندي معهم.

وذلك لأن خليل كان قد سفهم في العودة إليها وقام بتعبير نفسه حاكما هاما - إمبراطورا - على كل أملاك تيمور وبذلك يكون قد سبق من همه ير محمد صاحب الحق في اعتلاء عرش جده وسمعه من الوصول إليه

ونتيجة لذلك فإن القلاقل والاضطرابات همت ربوع تلك الإمبراطورية الواسعة الكبيرة مترامية الأطراف، ولم يستطع خليل ذو الشخصية الضعيفة أن يحكم زمام أمرائها، ومن ثم فلياه مع مرور الوقت بدأ كل أمير في الاستقلال بإمرته، وذلك بعد عدة حروب قامت بين الأحماد الذين لم يستطيعوا الاتفاق على كلمة سواء تجعلهم يحافظون على إمبراطورية جدهم العظيم والذي كان بحق آخر الفاتحين العظماء في تاريخ العالم، حيث لم يحج أحد من بعده وحتى الآن في السيطرة على العالم كما فعل تيمور.

اهم المراجع المباشرة

- ١ - ابن هريشاه صحائف المقتدر في أخبار تيمور
- ٢ - ابن حجر العسقلاني أنباء العمر باباء العمر، تحقيق حسن حبشي
- ٣ - ابن طولون الشعر البسام في ذكر من تولى قصاصة الشام تحقيق صلاح الدين النجد
- ٤ - الخطيب البسوهري نزعة الخسوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي
- ٥ - المقرئى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عاشور، محمد زيادة.
- ٦ - السخاوى الضوء للامع ج ٦.
- ٧ - بارتولد تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان.
- ٨ - حكيم أمين قيام دولة المماليك الثانية.
- ٩ - عبات الدين خواندمير دستور الوزراء، ترجمة حريس أمين سليمان
- ١٠ - جمال الدين أبو المعاسن الهجوم للزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تحقيق فهد شلتوت.
- ١١ - سعيد عاشور العصر المماليكى في مصر والشام.
- ١٢ - لى منيرج بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرئيس.
- ١٣ - والترشل لقاء ابن خلدون لتيمور لك، ترجمة محمد توفيق.
- ١٤ - هارولد لامب تيمور لك، ترجمة عمر أبو النصر.

الفهرس

المصنفات

الموضوعات

٣	مقدمة
٧	تمهيد
١	أراضى ما وراء النهر
١١	معول فارس
١٢	تيمور وظهور الخطر المعولى
١٣	استيلاء المعول على ما وراء لنهر
١٣	الاستقلال عن الخان الأعظم
١٤	قتل الخان ترماشين
١٤	انقسام دولة الغول الجبختاتيين
١٦	فاتحة الخير لتيمور
١٧	نقطة تحول
١٨	ظهور تيمور لنك على مسرح الأحداث
١٩	الحاجة إلى دعم
٢٠	نقطة البدايه
٢٢	تيمور زوجاً لحفيذة قازغان
٢٣	تيمور يواجه تيمور
٢٦	الامير تيمور لنك
٣	تيمور لنك نصيراً للصفهاء
٣٢	الاتحاد مع الغريم

- ٣٢ الوقوع في الأمر
- ٣٥ لجميع الرجال
- ٣٦ مشاكل الطريق
- ٣٧ اكتساب الأنصار
- ٣٩ كل الأمور في صالح تيمور لك
- ٤ الانتصار على نيكجيك
- ٤٢ ذكاء تيمور لك
- ٤٥ خلافات بين الخلفاء
- ٤٦ اليأس فخان
- ٤٨ صراع الأقوياء
- ٥٠ الانسحاب إلى قارش
- ٥٢ القمامة القلعة
- ٥٤ غيابه في معسكر الأمير حسين
- ٥٥ هجوم الحفظائين
- ٥٧ ثورات ضد حسين ، وتيمور يرح
- ٥٨ طموح السلطنة
- ٦ مقتل الأمير حسين
- ٦١ السلطان تيمور لك
- ٦٥ بهج جديد للحكم
- ٦٦ رفض الاحتلال
- ٦٨ مبارزه لم تتم
- ٧ إلى خوارزم مرة أخرى
- ٧١ احتلال خراسان

- ٧٦ السيطرة على الكرج
- ٧٧ إلى أرمينيا
- ٧٨ دخول فارس
- ٧٩ من هو توتنميش
- ٨٢ غيبه أمل تيمور لك
- ٨٦ مهاجمة توتنميش
- ٨٧ تيمور في عقر دار توتنميش
- ٩٠ الاقتراب من خط المواجهة
- ٩١ التحرك لأرض المعركة
- ٩٤ الاستعداد بالشكيل للهجوم
- ٩٦ الأمر بالقتال
- ٩٨ إلى إيران
- ١٠١ إلى بغداد
- ١٠٣ أحمد بن أويس يعود لعرشه بمساعدة مصرية
- ١٠٤ مواجهة أخرى مع توتنميش
- ١٠٥ مزينة قاتلة لتوتنميش
- ١٠٦ المطاردة والتطهير
- ١٠٧ كنوز وثروات الهند
- ١١٠ تدريب عملي
- ١١٢ حرب جاثية
- ١١٤ ملحوظة هامة
- ١١٥ مواجهة مصر على أرض الشام
- ١١٧ الدخول إلى حلب

١١٩	إلى دمشق
١٢١	الحيرة ثم الامتلاص
١٢٢	إلى بغداد
١٢٥	حصار بغداد
١٢٧	إلى الأناضول
١٢٧	انشغال بايزيد
١٢٩	التحرك إلى أرض المعركة
١٣٠	ذكاء تيمور
١٣١	الخطوة العسكرية
١٣٦	احتفالات سمرقند
١٣٨	إلى الصين
١٣٩	وفاة تيمورلنك
١٤١	فشل غزو الصين
١٤٢	الرجوع إلى سمرقند
١٤٣	المراجع
١٤٥	الفهرس

من إصدارات دار مشارق



دار مشارق